رجال من ورق ونساء من زجاج

عماد أحمد العالم

نصوص

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يُسرد الكتاب في إطارٍ هو الأقرب إلى حوار الذات، ومناقشتها ومناجاتها، ومحاولة الوصول معها لنقاط التقاءٍ تساعد الوجدان في فهم واقعٍ متسلسل يعيشه وتقوم عليه ديمومة الحياة وما فيها من أممٍ ومجتمعات، منذ الخليقة وإلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

حرصت على أن ألاّ أنهك القارىء بدراساتٍ وأبحاثٍ وأرقام، وحديثٍ يكون فيه فحوى الكتاب علميٌّ بحت، فأنا لست بباحثٍ متخصص، ولا أجد نفسي حتى قادراً على إسداء النصح بأمرٍ أرى فيه ذوي الاختصاص والعلم أنسب مني وأكثر قدرةً على التوجيه والإرشاد.

كتابي هذا هو دردشة إنسانية أحاول من خلالها أن أكتب ما يمليه عليَّ فكري من قناعات استنتجتها، وقد أكون بالطبع مصيباً أو مخطئاً بها. لكن، حسبي فيما أفعل أني أحاول...

عماد أحمد العالم
• كاتب من فلسطين



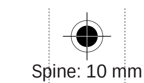












facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
ISBN 978-614-01-1209-4
9 786140 112094
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com
توزيع
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com
Spine: 10 mm
CyanMagentaYellowBlack

رجـــال مـــن ورق
ونساء من زجاج

ح عماد الدين أحمد العالم، ١٤٣٥ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العالم، عماد الدين أحمد
رجال من ورق ونساء من زجاج / عماد الدين أحمد العالم.-
الرياض ١٤٣٥هـ
١٧٦ صفحة ١٤,٥ × ٢١,٥
ردمك: ٥-٤١٧١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- المقالات العربية - أ. العنوان
ديوي ٠٨١ ١٤٣٥/١٥١٧

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١٥١٧
ردمك: ٥-٤١٧١-٠١-٦٠٣-٩٧٨

رجال من ورق
ونساء من زجاج

تأليف

عماد أحمد العالم



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى
1435 هـ - 2014 م

ردمك 978-614-01-1209-4

تــوزيـــع




عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

المحتويات

إهداء

لأبي آدم . . . . .ولحواء التي أنجبتني . . . .أمي الغالية. . . .

ولآلاء . . . . .حواء التي جعلت مني زوجاً لها . . . . ولابنتي جنين وريناد وابني أحمد

لكل شابٍ وفتاة ولكل زوجٍ وزوجة، ولكل ابنٍ أو ابنةٍ لهم . . . .

لكل حالم وحالمة، ولكل محبة وعاشقة ومتيم ومحب. . .يمني نفسه وتمني نفسها بالآخر شريك الحياة.

لكل قارىءٍ لكتابي هذا مع كل الود والاحترام . . .

أسلوب الطرح متنوع وغير متسلسل إلاّ من أراد له أن يكون كذلك، فبإمكان القارئ والقارئة أن يبدأوا فيه من حيث يشـاؤون، وإن كنت أفضل البداية المتسلسلة حسب الفهرس حتى يكون كل فصلٍ ومقالة مبنيٌّ على ما قبله وممهّدٌ لما بعده.

أجزاءٌ من الكتـاب فيه بعض النظـرة العلمية، فيمـا أُخرى قد تكون فلسفية ووجدانية أو أقرب للدردشة وحوار الذات.

مقدمة

هـذا الكتاب هـو طـرحٌ فلسـفيٌ وجدانـي، وأدبـي لا علمي أو بحثي. قد يكون خيالياً في بعضه أو من الواقعية السحرية أو الخيالية.

أحـاول مـن خلالـه أن أكشـف مفهـوم آدم وحـواء (الذكـر والأنثى)، والزواج، ونظـرة الرجل والمرأة لبعضهمـا، كما أتطرّق فيه للفطرة والغريزة والبيئة والتنشئة والأهل وأثرهم على مستقبل أطفالهم وشخصيتهم في حال بلوغهم وكبرهم وزواجهم.

يُسرد الكتاب في إطارٍ هو الأقرب إلى حوار الذات، ومناقشتها ومناجاتها، ومحاولة الوصـول معها لنقاط التقاءٍ تسـاعد الوجدان في فهم واقعٍ متسلسل يعيشه وتقوم عليه ديمومة الحياة وما فيها من أممٍ ومجتمعاتٍ، منذ الخليقة وإلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى.

حرصت علـى أن ألاّ أنهـك القارىء بدراسـاتٍ وأبحـاثٍ وأرقام، وحديـثٍ يكون فيـه فحـوى الكتـاب علمـيٌّ بحت، فأنـا لسـت بباحثٍ متخصص، ولا أجد نفسي حتى قادراً على إسـداء النصح بأمرٍ أرى فيه ذوي الاختصاص والعلم أنسب مني وأكثر قدرةً على التوجيه والإرشاد.

كتابي هذا هو دردشـة إنسـانية أحـاول من خلالهـا أن أكتب ما يمليه عليَّ فكري من قناعات اسـتنتجتها، وقد أكون بالطبع مصيباً أو مخطئاً بها. لكن حسبي فيما أفعل أني أحاول....

عماد أحمد العالم

الرياض- المملكة العربية السعودية

بعض دراسات علم النفس الحديثة تشير إلى أن الولد والبنت يتشاركان في سنواتهما الأولى الثلاث ملامح مشتركة من التطور العاطفي، ما تلبث أن تختلف مع تقدّمهما في العمر صوب مرحلة المراهقة والنضج، إلى أن تحدث الاستقلالية والقدرة على التماس الشغف الداخلي بأنفسهم سواءً أكان على المستوى الجسدي أو العاطفي أو العيش بروحانية المجهول والبحث عن الشريك في الأحلام.

عُرفاً يتداول الجميع مقولة أن الارتباط العاطفي الأول في حياة الصبي يكون عبر تعلقه بأمه، وتصورها كمثالٍ منزّه لما سيكون عليه شكل الزوجة وشريكة الحياة في المستقبل. فعشرته اليومية لها، وملاحظته لتفاصيل حياتها من تحقيق لإملاءات الزوج وأوامره وطلباته، كما أن عنايتها بالأبناء وقيامها بواجباتها المنزلية كفيلان بأن يطبعا في مخيلته صورةً نرجسية لما يجب أن تكون عليه زوجته في المستقبل.

في هذه المرحلة، تبدأ قابلية الطفل للتعلم والحفظ عبر تكرار المشاهد اليومية، والتي لا تلبث أن تلتصق بذاكرته كنمطٍ للحياة، وتبدأ في ما بعد كركيزةٍ لما سيتبناه من أفكارٍ ورؤى وتصرفات في حياته الخاصة حين تتاح له الفرصة هذه المرة لأن يكون راعياً لأسرةٍ بدلاً من طفلٍ يتربى في كنف والديه.

في المقابل تكون الأم حافظة أسرار بناتها، لكن مثلها الأعلى

وتعلقها الفعلي «أي البنت» يكون بأبيها، وهو ما قد ينشأ لدى العديد حالة من الغيرة يتشارك طرفاها الأم وابنتها، وفيها تشعر الزوجة أن ابنتها أحياناً تحاول أن تكون من تحتل المرتبة العليا في نفس والدها.

هي حالةٌ من الغيرة البريئة الدالة على درجة من أجواء المودّة والتفاهم التي تسود المنزل، كما أنها تعطي انطباعاً لحنان الأب مع أبنائه ومودته ومحبته لزوجته، وتعلق الأخيرة بمن ارتضته زوجاً لها.

لو عدنا للحظات الولادة، لوجدنا الطفل يولد ولديه القابلية لممارسة عوامل نفسيةٍ أساسيةٍ: كالحس والإدراك والتعلم والدافعية، وهي عوامل لكلٍ منها ارتباطٌ وثيق بالآخر، وبتطوره السليم والسلس ستتكون شخصيةً الطفل مستقبلاً وستُصقل.

إن تناولنا الإحساس كبداية، نجده في المقدرة على استشعار الطفل بما حوله وبيئته المحيطة، ومدى تغير حالتها، وكذلك الظروف، أما الإدراك فهو الترجمة العملية للإحساس، وهو ما يترتب عليه قيام الفرد بردات الفعل أو العمل عندما يستشعر قبلها بإحساسٍ مرتبطٍ بها.

إن أردنا تطبيق العاملين السابقين على تشكل مفهوم الجنس الآخر لدى الطفل؛ سنجد أن مجرى حياة الوالدين ومدى توافقهما سيلفت نظر طفلهما، وبناءً عليه يمكننا أن نُرجع العديد من المشاكل المستقبلية للشاب أو الفتاة في الزواج إلى ما تناولته أحاسيسه وشعر بها إدراكه من خبرته السابقة عما كان يحدث ويجري بين أمه وأبيه.

في اعتقادي الأمر ذاته يمكن قياسه على النظرة المستقبلية والصورة المكونة لكلٍ من الجنسين تجاه الآخر، ويساعد في ذلك ما تعلمه الطفل في تلك المرحلة المبكرة من حياته عبر تكرر

حدوث المواقف أمامه، ليشكل في ما بعد ذاكرته عن الحدث، وسبل تصوره لمعالجة الموقف.

ردّة الفعل المستقبلية ونمط التصرف في حالة الزواج لا يمكن حصرها ضمن نطاق التقليد أو التكرار لما كان يحدث بين الأب والأم ؛ فقد تكون عكسيةً يسعى من خلالها أحد طرفي العلاقة بالانقلاب على ذكريات الطفولة الحزينة، وتقمص شخصيةٍ أخرى، قد يكون فيها منساقاً مع عدم المقدرة أو حتى الرغبة في القيادة والمشاركة، أو قد ينتج عنها الشخصية المتسلطة التي تحاول أن تتغلب في داخلها على الصورة المهزوزة التي تكونت لأحد الأبوين، مع رغبةٍ في الانقلاب على الماضي لعيش حاضر مخالف، يكون فيه المسيطر والمتحكم والمتصرف بدلاً من المقتاد التابع الذي لا يملك زمام المبادرة.

يساهم الأبوان إيجاباً وسلباً بالوعي والإدراك في صقل شخصية ابنهما أو بنتهما المستقبلية، وذلك عبر التلقيم وزرع مفاهيم خاطئة تجاه الجنس الآخر. قد ينمو الولد حينها بعقدة الشخصية الذكورية التي تربى عليها في المنزل، فهو من طال انتظاره من الأبناء بالرغم من ولادة أخواته قبله، وله الأولوية في التعليم وفي سبل الرفاهية، كما أنه المحظي بالنزهات والسفر وحديث الوالدين أمام الآخرين.

يكبر الصبي ليكون رجلاً وفي داخله التسلط الناتج عن الامتيازات المبكرة التي منحت له على أساس أخواته، وسلبت منهن مسببةً شعوراً بالدونية الأنثوية تجاه الرجل، والمتمثل في شخص أخيهم. مثل هذه التصرفات قد تكون سبباً في خلق نمط لشخصية الفتاة حين تتزوج، كما قد تشكل الأسلوب الذي ستتعامل به مع زوجها.

في المقابـل، تضخم الأنـا لدى الولـد الذي أصبـح الآن زوجاً سـيحدث له تقلباتٍ مريـرةً مع زوجته، سـيعيش صـراع المقارنة بين تصرفاته مع أخواته ومدى سيطرته عليهن، كما سيتماثل أمامه نموذج الأم الـذي لن يغيـب أبداً عـن مجـرى حياته، إما عبر أخـذ النصح والشـورى المباشـرة منها وتدخلها في حياته، أو اسـترجاع ما خزنته ذاكرته من صورةٍ لفكر أمه وأسلوبها في التعامل داخل المنزل.

لا يقتصـر واجب الأهـل فـي التربية السـليمة للطفل فحسـب، وإنمـا في تهيئتـه ليكـون مسـتقبلاً زوجـاً أو زوجـة في بيتٍ سـعيد، وذلك عبر التربية التدريجية اللاشعورية المؤصّلة لفكر البيت الزوجي السعيد.

الأفكار التي نزرعها في عقول أطفالنـا إما من عن قصد أو عن تندر وفكاهة أو عـن تصرفات لا عقلانيةٍ أمامهم لها انعكاس مباشـر على حياتهم. إن ربينا الولد مثلاً على أنه خليفة الأب وسـيد المنزل بالإنابـة ؛ لن يكـون حينهـا الأخ الحانـي علـى أخواته، بل سـيكون المتسـلط الـذي سيسـاهم سـلباً مسـتقبلاً فـي مـدى تقبلهـن للزواج والتعامل مع الرجل، في حين لا تعني أن تكون قسـوته هي أسـلوبه في تعامله مـع زوجتـه؛ حينها قد يأبـى عقلـه الباطن[إلا] أن يكـرر معها جنون عظمة الذكورة، ليؤدي لاحقاً لاختلافات ومشاكل بين الزوجة وأهـل زوجها تحدث قطيعـةً أو مشـاكل مبكرة، نهايتها قـد لا تكون سعيدة، وسيدفع ثمنها أطفال كلٍ منهما مستقبلاً.

للتربيـة خصوصية في التعامـل مع جنس الابـن والابنة، كما أن لها خصائص مشـتركةً يشـترك به كلاهما؛ فلا معنى لأن تكون هناك امتيازات علمية وتعليمية للولـد دون أخته بحجة مثـلٍ قديم قائل أن مـرد البنت لبيـت زوجها!، فهـي أي المرأة من تنشـئ الأمـم وعليها

يكون الحمل في زرع بذور اللبنة الصالحة التي يقوم الأب بدوره في سقايتها بالمُثل العليا والأخلاق الحميدة.

الخصوصية السائدة للبنت في التربية تقوم على أساس التهيئة المبكرة لها لتكون أماً وزوجة وربة بيتٍ قادرة على إدارة شؤون أسرتها المستقبلية، وتركيز على إشراكها في واجبات المنزل وتعليمها فنون الطبخ والرعاية،،،،،،، ولكن هل يستثنى الولد من ذلك؟

في اعتقادي أن استثناء الابن من الواجبات المنزلية وإعفاءه منها عامل سلبي في تكريس ثقافة الذكورة لديه، وإسهام خاطئ في زرع الأنانية وتعويده على الاعتماد على غيره في أمور يجب أن يشارك في تحمّل مسؤوليتها.

ما يتم تكريسه من مفاهيم وتصرفات للمولود ينعكس على تصرفاته في المستقبل تجاه شريكه الآخر، وهو ما يهمله العديد من الآباء ظناً منهم أن الفطرة والغريزة من ستسيره تجاه خانته في الحياة. لكن هذا التصرف لن يسهم في الواقع في بناء الأسس المثلى للأسرة المستقرة التي يكون طرفا العيش فيها ذكر وأنثى جمعتهما سنة الحياة ليتشاركا قفص الزوجية.

الفطرة السليمة من حيث نوع الجنس وما يميزه عن الآخر تبقى المفهوم الأوحد لشكل العلاقة بين الرجل والمرأة في الحياة.

على أساسـها تقوم لبنـات المجتمع والأمة أياً كانـت الحضارة، ومهما اختلفت الشعوب عن بعضها من حيث الاعتقاد.

يولـد الذكـر ويُنمِّـي الأهـل والمحيطين بـه غريزة الذكـورة في عقله بصفاتها وأفعالها وسـماتها، هذا عـدا عن ما يكتسـبه من البيئة المحيطـة مـن صفـات تصقـل شـخصيته ؛ كذلـك هـي الأنثـى التي تختلف عـن الذكر من حيث التكوين الجسـدي والعاطفـي والعقلي، تكبر وفـي مخيلتها صـورة لهـا بأنها فريـدة عـن نصفها الآخـر، لها سـماتها وطبيعتهـا المختلفة، مشـاعرها وأحاسيسـها ونمـط تفكيرها، دورها في البيت وإسهامها في المجتمع.

قـد يتشـابه التكـون فـي السـنوات الثـلاث الأولـى منـذ لحظة الولادة، لكن اسـتقلال شـخصية جنس المولود تبدأ عقـب ذلك في التشـكل والتميز عن الآخر المختلف لها معها في الشـكل والجسـد والدور الإنسـاني الذي يجـب أن يكون عليـه مسـتقبلاً، حينها تكون بدايـة الإحسـاس بالاختلاف وما سـيتبعه مـن تحلي الجسـد والعقل بسمات تميز الأنثى عن الذكر، وتصقل شخصيتهما وتوجه كلاً منهما نحو فطرته.

الغريـزة هي جزء من تشـكل الفطرة السـليمة وانعـكاس تلقائي لجنـس الإنسـان، إن اختـل ميـزان أحدها فـي النشـأة ينتج لدينا ما

نسـميه الشـذوذ، بشـكلٍ تلقائي ينجذب الفرد لمخالفه جنسياً، ولكن إن حدث العكس نستنتج حينها أن الإنسـان قد شذ عن فطرته وترك لغريزته تقرير مصيره من دون أن يكون له دور في تحديد مسارها.

للمخلوقات الأخرى غرائزها التكاثريـة والحياتية، لكننا كآدميين نختلـف عنهـا بأننـا مخيّرون فـي غرائزنـا لا مسـيّرون، صحيـح أنها ضرورة لبقائنا، لكننا لنا كامل التحكم بها ولا ننقاد لها بالخطأ وإنما نسيرها دوماً نحو الركن الصائب والذي لا يتنافى مع الدين والعادات والتقاليد والأعراف.

هناك عوامل مساعدة تساهم بشكلٍ مباشـر في التوجه الإنساني صوب الغريـزة، وتتمثل في البيئة المحيطة وتصرفـات الأفراد وقانون الدولة والأسرة والمجتمع وحتى المدرسة والجيران، كما تشمل أيضاً البلوغ وثقافة النهي والحرمان والعيب.

تلعب الفوقيـة الذكوريـة دوراً في ترسـيخ المفاهيـم وفي النفي والمنع وفي التحبيذ، كما تسـاهم في التشـجيع لها بشكلٍ غير مباشر عبر تبريـرات عبثية، يُغفـر للذكر فيهـا من دون حسـاب، فيما توضع العراقيل أمام البنت بحجج العار والفضيلة!

طريقتنـا لتنشـئة أبنائنـا عامـل جوهري فـي تقمصهم لشـخصية المسـتقبل، وخصوصاً في ما يتعلق بالجنس الآخر، وهو أحد عوامل النقص المنهجي في التعليم في الدول العربية.

ساهم في فشله الدور السلبي للأهل وخصوصاً تجاه البنت في تغييبهـا عن تعلم أسـرار جسـدها وطبيعتـه وحاجاته، ونمط تعايشـها المسـتقبلي مـع الرجـل، واختلافهـا معـه فـي الخلقـة والـدور الذي سـيؤديه كلاهمـا فـي مجتمعهمـا، وكذلـك ترسـيخ مفهـوم الواجب والمفـروض، بالإضافة إلـى المحرمـات والممنـوع والمسـموح به ؛

وذلك مع التوافق الكامل وضمن النطاق الشرعي وبما لا يختلف مع الدين.

الحاجة للثقافة الجنسية المجدولة حسب المرحلة العمرية للولد والبنت بالطبع ليست دعوةً للانحلال ولا لنشر الرذيلة، ولا تفتيح أعينهم على حقائق أكبر من سنهم أو سابقةٌ لأوانها، وإنما هي وسيلة لتهيئتهم من دون إفسادهم، ولتعليمهم من الباب الصحيح ومن المنبع الحق الذي يُقتدى به، لا من خلال المفسدات والمؤثرات البيئية والإنسانية والتجربة الشخصية التي يلعب فيها هوى النفس والفضول وحب استكشاف المجهول دوراً أساساً، والتي قد ينطوي عليها ويترتب ما تعانيه أي أمةٍ من تفسخٍ أخلاقي وانحلال وفساد.

إذاً الفطرة هي اللبنة الصالحة التي نولد عليها، ونكون فيها بشر قابلين للتشكيل. فيما يعتمد ذلك على مدى تحكم الفرد بغريزته، بالإضافة إلى تأثره بالعوامل المساعدة السابقة التي أشرت إليها، والتي لا تتحكم بالفرد بمقدار توجيهها له، وتعتمد في نجاحها على مدى المقدرة على تطويعها لتكون جزءًا من الصواب لا عاملاً في ارتكاب الخطأ.

إذاً: كلٌ منا يولد بفطرةٍ سويةٍ لا يفسدها سوى مدى تحكم الغريزة بها إيجاباً أو سلباً ومدى قوة النفس في محاولات تسييره باتجاه أيٍ من الجهتين.

الدافع الفسيولوجي

قد يعد الجنس دافعاً أساسياً للعديد من المشكلات والتحديات والمواقف التي يتعرض لها الشاب والفتاة في حياتهما ولكن، ما سبب حدوثه؟، ولم لا يملك البشر القدرة الكاملة من دون الوقوع في الخطأ بالتحكم بعواطفهم وغرائزهم التي قد تتعارض مع عقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم وتكون سبباً على الدوام فيما يليها من عقاب؟!

لِـمَ الممنوع دائماً مرغوب وتتطلع له النفس؟ ولم لا تقدر عقولنا على التحكم بدوافعنا الغرائزية؟ ولم أرواحنا تميل دوماً نحو الآخر؟

أسئلة عديدة قد تخطر على البال وتدور في الخلد من دون أن نجد إجابةً شافيةً لها أو حتى كفيلةً بوقف هذا السيل الجارف من الآراء التي نفكر بها، لنفهم الأمر من ناحية جسدية، أتوقع أن علينا أولاً أن نستوعب مدى تأثير العوامل الفسيولوجية للإنسان على تصرفاته وأفعاله.

للدافع الفسيولوجي، باعتقادي، علاقة وثيقة ليست فقط بما يتعلق بالجنس، وإنما في العديد من المشكلات الأخرى التي تواجه الإنسان في حياته ذكراً كان أو أنثى، وله مراحل تطور متزامنة مع عمره، وتحديداً لحظة نضوجه وولوجه مرحلة المراهقة، والتي يمسي فيها قادراً على إدراك أن له غرائز إنسانية تحركه وتوجه دفته وتتحكم بتصرفاته إن لم يكن القبطان القادرعلى توجيه دفتها باتجاه الصواب لا الخطأ.

للهرمونات والغدد دور فاعل في بناء وتكوين أجسامنا وتشكيل تصرفاتنا، وكذلك الحال للغدد النخامية والصماء وصولاً إلى التناسلية منها.

ما تلعبه من دور في تغيير الطبيعة الإنسانية أساسي، في حين تشكل اللبنة الأولية لعقلنا ودماغنا ليلتفت إلى غرائزه وأن يفكر بها كوسيلةٍ إنسانية للسعادة والتكاثر وبناء الأسرة وتربية الأطفال.

هذا ما قد يجعل جزءاً من تصرفاتنا البشرية لا إرادية المنشأ، فأجسادنا هي التي تخلق النواة الأولى لغرائزنا. لكننا كبشر خُلقنا مخيرين بين الصواب والخطأ والرذيلة والفضيلة، ولم نسيَّر لفعل أيٍ منها.

التتويج الصحيح لسلامة أجسادنا وعقولنا يكمن في اتباع ما أمر الله عز وجل به وما جعله لنا كخيار لأن نكون أمماً وقبائل وشعوب، لا حيواناتٍ بشرية تحلل الرذيلة، وتترك لهوى النفس الخيار بالعيش من دون نظامٍ وقواعد سليمة تؤطر التعايش وتقوننه وتفصل بين الأفراد، كما تساهم في جمعهم مع بعضهم وتوحيدهم سويةً ضمن المظلة المناسبة.

لا عذر أبداً يلام به التكوين الجسدي ولا يُرد الخطأ له (إلا إن كان تشوهاً خلقياً)، ولا منطق أو علم يحلل أن يُغاير الإنسان طبيعته وينتهك المحرمات بحجة اللاإرادية أو عدم المقدرة على التحكم بالتصرفات، إلا بحالاتٍ طبيةٍ بعينها، لا يمكن أن يُقال عنها إلا أنها نادرة وتحتاج للعلاج النفسي والسلوكي والديني في وقتٍ واحد وبتزامنٍ وتنسيقٍ مشترك.

السمة العامة للدافع هي التقريب بين الذكر والأنثى، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون للأفكار المصاحبة له بعض الاختلاف في

حالة الرجل عن المرأة، ويتجلى ذلك في الروحانيات والمشاعر والأحاسيس وطريقة الشعور بها والتعبير عنها، كما مدى الأولوية لها في النفس.

الدافع الفسيولوجي للرجل والمرأة هو المسبب لمحاولة كلاًّ منهما التقارب والتزاوج، كما الارتباط بدنياً وروحياً وجسدياً وعاطفياً، هو دافع يجب برمجته ذاتياً ليكون مسيطراً عليه كي يكون دوماً في إطار ما يتوافق مع الفطرة، لا ما يتعارض معها ويوقع صاحبه حينها في الخطأ والخطيئة.

ما سيكتب هنا ليس بدرسٍ في التربية ولا بروتوكولات على الآباء الجدد العمل بها، هي كما يُقال خربشات على ورق وصورةٌ لمجموعةٍ من التجارب الإنسانية التي نعيشها كل يوم في مجتمعاتنا ونسمع عنها من القريب والصديق، هذا إن لم نعاصر بعضها في صغرنا وكبرنا.

هي مشاهدات بشرية غير مصطنعة وإنما تلقائية، قد تكون جانبت الصواب أو أصابته، لكن أثرها يستمر مع صاحبه طيلة حياته، ليؤثر عليها بالسلب أو الإيجاب.

لا بد أن كلاً منا قد احتفظ له عقله بموقفٍ ما حدث أمامه، وفيه شهد تصرفاً سيئاً من طفلٍ أو عملاً حسنا يدل في كليهما عن أخلاقيات الطفل وقد يعطي انطباعاً عن أسرته، ومدى الثقافة الإيجابية أو السلبية التي يعيشها.

يحضرني كمثال موقف مازلت أذكره في مخيلتي وحدث أمامي وكنت الشاهد فيه من دون أن أعلق أو أنهى أوأزجر...

قبل حوالي خمسة عشرعاماً، وقبيل مغرب يومٍ صيفي، وبينما أنا أقف في الشارع وإذا بطفلٍ صغير يمر أمامي حاملاً بين يديه ما تسميه البنات في مصطلحاتهن عروسة (دمية) يتلاعب بها بطريق وضيعة لا تدل على براءة طفل ولا تنبئ بخير.

حاولت أن أشيح نظري عن الطفل حتى لا يصدُق ما تنبأت به، لكن فضولي دعاني كي أستمر في استكشاف الحدث، وإذا به

بدأ يتصرف مع الدمية من دون خجل أو حياء وفي العلن وكأنه ما يشبه العلاقة الزوجية بالصوت والصورة، ويتخلل تمثيله نظرات عينين لا تمت بصلة لطفولته، وإنما إصرار على التجسيد والاستمرار به.

مر من أمامي واستمر في مشيه ولهوه غير البريء من دون أن أعطيه أي انطباعٍ عله لا يكررما فعل أمام أي أحدٍ آخر (وهذا ما أشك بعدم حدوثه) حتى غاب عن ناظري، ومن دون أن أملك الجرأة لنهيه عما يفعل، فقد استشعرت بداخلي أني سأتعرض حينها لسيلٍ من الشتائم أو ردة فعلٍ صبيانية قد لا أحسن التصرف حيالها.

ما بدر من طفلٍ لا يتجاوز الخمس سنين من عمره جعلني أفكر ألف مرة قبل أن أنجب أبناءً أو أتزوج، فالعبرة ليست بكثرة الذرية، وإنما بتربيتها وتعليمها وتهذيب خلقها، وتقويمها ومساعدتها على سلك الدرب الصحيح، والنأي بها عن سوء الخلق والفعل والعمل.

يشبه الموقف أعلاه ما تسمعه على لسان طفلٍ آخر من سب وشتم وتلفظ بأقوال جارحة لا يعي معناها، لكنه سمعها من أبيه أو والدته أو أخيه أوزميله في المدرسة أو في موقفٍ ما حدث أمامه، رددها فيما بعد لا إرادياً، وسيستمر في ذلك إن لم يتم التعامل مع الطفل بأسلوب تربوي حكيم ينهاه عما بدر ويبين له خطأه.

في المقابل، وفي حدثٍ آخر عاصرته؛ طفلة لم تتجاوز الأربع سنوات من عمرها، وفي مطعم مزدحم في أحد الأسواق التجارية، تعطيها على ما يبدو قريبة لها مبلغاً صغيراً لتشتري به حلوى، وإذا بالطفلة الصغيرة وبدلاً من أن تشتري حلواها، تعطي ما معها لعامل نظافة هرم قريب منها وتعود باتجاه أهلها سعيدة ومبتسمة ويظهر عليها شعور بالإنجاز والفخرلما صنعت.

هذا نموذج آخر ومغاير للتربية السلبية التي أشرت لها بالموقف السابق؛ وفيه يحتمل أن يكون قد طلب من الطفل أن يعطي المسكين ويشفق عليه، أو أن الطفل شاهد موقفاً من أمه أو والده وهو يعطي فيها عامل نظافة مالاً، فتكونت الفكرة في رأسه وخزنها بداخله، ليتصرف وفقها في ما بعد حين لاح له موقف مشابه يقلد فيه ما بدر سابقاً عن أحد والديه.

أبناؤنا مقلدون ممتازون لنا وانعكاس لما نفعله في حضورهم، تأثرهم بنا شديد وملاحظتهم لنا دقيقة من دون حتى أن يشعرونا بذلك.

الطفل كالحجر، ما يكتسبه من خبرات تمر أمامه وتنحفر في مخيلته، وهو بطبع سنه مقلد ممتاز لقدوته أو لمن يعيش حوله، مخلوق ذكي ونبيه يشعرك ببراءته لكنه في الواقع يقتدي بما تتصرف به أمامه، لتكون في حال كبره بذرةٌ لأخلاقه وسلوكه.

أساليب الأهل وخصوصاً الآباء تشكل المحور الأساس في الغالب لخلق سوء التفاهم والفجوة بين الذكر والأنثى، كما تجعل كلاً منهما في صف العدو بدلاً من الشريك، وتغذي نزعة التحكم والتجبر، وتجعل موقفهما من الآخر موقف الاحتقار والازدراء أو التحفظ والحذر، وهذا ما نلاحظه في العديد من الحالات بين الأخ وأخواته، ومدى قوة العلاقة العائلية بينهما، ومدى مودتهم ومحبتهم وتعلقهم وقربهم من بعضهم بعضاً وتواصلهم الاجتماعي وتفككهم أسرياً.

لا يقتصر الأمر على طريقة تعامل الولد مستقبلاً مع الغريب فحسب، وإنما يشمل ذلك المقربين له من زوجة وأخوات وبنات وزميلات عمل أو دراسة.

لذا: هلا انتبهنا لتصرفاتنـا وتعاملنا بحكمة معهـم وأمامهم، كي يحصـد أبناؤنا مـا زرعنـاه فيهم فـي صغرهم، ويحيـوا دنيـا لا أقول مثالية وإنما وفق الأسس السليمة ديناً وخلقاً!

تنتابه رياح عاصفة من الشوق للجنس الآخر، المغيب عنه طيلة فترة صباه، يشعر بالأنثى كعبير نسماتٍ في مخيلته يطوعها كيفما يشاء ليرسم بها طيف امرأةٍ لا يعرفها.

يحاول أن يتخيل تلك المخلوقة التي تختلف عنه في بعض سماته الجسدية، حين يشعر بقربها تنتابه حالة من التوهان والاضطراب والرعشة التي لا يعرف مسببها، لكنه موقنٌ أنها بسبب أنثى مرت بجانبه أو مر طيفها بموقفٍ ما في مخيلته.

يبدأ في الأحلام ولا يجد طريقاً للتعبير عما يجول في خاطره إلا عبر كلماتٍ وجدانية تعصف به. يكتب لها في أوراق غير مرتبة، رسائل يصف فيها حبه اللامتناهي، وأشواقه لاكتشاف العالم الآخرلطيف محبوبته.

أحاكي هنا شعور شابٍ مراهق يبحث عن أنثى تطفئ ظمأ عاطفته للجنس الآخر الذي يتمنى فهم سحره. يقول لها في وجدانه وبكل صدق وعفوية مستفتحاً كلماته:

لك أنت سيدتي....

علمني خيالي أن ألهو به وأحلم أحلاماً لا واقع لها إلا في أحلامي، تتقاذفني فيها روائح عطرٍ ندية وأماني هوى سرمدية... وعيونٌ تبحث عن عشقٍ أفلاطوني يروي ظمأها من هوى امرأةٍ لا أعرفها! بل لا أرغب حتى في صورةٍ واضحةٍ لها.. أقلبها كل ليلة حسب ما تركت أخرى لدي من بصمة... أحضر نفسي لمتعة التفكير

بها... أختلق حوارات وقصصاً وحكايا وزعلاً وفرحاً وعتاباً...حتى أنتشي فأنام على وقع سراب غرام صنعته لنفسي كل مساء مع أحلام نرجسية تتغير ليلاً على وقع ما تتركه أنثى أخرى في نفسي!!!

أشعر في داخلي أني مخطئ قد أتمادى حتى أصبح مرهوناً بخيالٍ لا يمكن أن يكون يوماً جزءاً من واقعه.. لكني وفي قرارة عقلي أنبذ كل محاولةٍ آثمه لحكمة عقلي لأتغير وأنفض الوهم وأعيش الواقع كالآخرين.

بكل صدق لا أرى للواقع جمالاً يذكر، ولا أجد فيه نشوة خيالي ولا هوى أحلامي.

أغني لمعشوقتي كل ليلة أغنيةً يصنعها حواري معها وشكل العلاقة اللحظية، ففي حين أخاطبها بلا تكذبي، أعود في ليلةٍ أخرى لأقول لها: أهواكِ ولن أنساكِ!

أشعر بالغرابة من نفسي، ومن هواها الذي أدماها، لكنها متعلقةٌ به ولا تقدر على فراقه...

الهوى ليس بأسطورة أو نرجسية تسطرها يد اللاهث خلفها، وإنما هو متعة لا يضاهيها إلا الارتواء.

لله درك حبيبتي ومعشوقتي ومولاتي وسيدتي، يا ملهمة الأدب وأصل الحضارة، يا منبت الأمل والعمل، يا رفيقة الدرب ومدرسة الرجال، يا صديقة الكفاح وأهل التضحية، يا بدراً لم يعرف له مثيل ويا جميلةً عجزت أيادي الرسامين بسبر مفاتنها، فيما تسمرت أيدي الكتاب عن وصفها وخجل منها البدر لحيائها.

أنت أسطورة من لا يعرف معنى الخيال، وأنت حورية البحر وعبق الحضارة ومعنى الجمال، ما أروع ان تعشق امرأةً بلا عنوان!

ينتابه الآن شعورٌ رائع كنسمات هواءٍ ربيعية تصفع وجنتيه،

يشـعر بالنشـوة البريئة، ويحس من أعماقه بخيالها يـدور حوله، تثني على مـا كتب لها وتعـده بأن تكون هـي الأنثى على الطـرف الآخر، التي تكون مكملةً له ومتوجةً لأحلامه، هي هناه وسعادته وراحة باله واستقرار نفسه وجسده.

هذا نمط لأحلام فتى مراهق، وتلك صـورة لما في مخيلته عن الأنثى، قد تكون نرجسية أو أفلاطونية، لكنها عفوية وإيجابية، بأيدي الآباء أن يسـاعدو في صقلها وتتويجها بقصة نجاحٍ لابنهم في التقائه الأمثل بأنثى حياته.

هي في مرحلة المراهقة

تستشعر تغيراتٍ في شكلها وجسدها، تلعب الهرمونات فيها دوراً أساساً، تزداد المطالب من أهلها بعمل كذا ولبس تلك، والتخفي عن من كانت تعدهم في صغرها أصدقاء من الجنس الآخر.

تشعر بالهمز واللمز في اجتماع الأمهات وحين يدور الحوار حولها، في داخلها تعلم أن هناك أمراً ما قد طرأ عليها، فيما هي موقنةٌ بدخولها مرحلةً تجاوزت الطفولة فيها للبلوغ.

بدأ الصبي القريب لها أو ابن الجيران يُحجب عنها، تشعر بإحساسٍ غريب ومزيج من الخجل والعيب ينتابها عند رؤيتها أو حديثها مع الرجل، تتغير تصرفاتها لا إرادياً وبدون وعيٍ منها، فتتصرف كالنساء، تلبس مثلهن، وتحاول تقليد حديثهن......هي الآن قد تجاوزت الطفولة وأصبحت امرأة تشعر أن المكمل لمسيرة حياتها رجلٌ يتقدم في يومٍ ما لطلب يدها........حينها تبدأ في تخيل الآخر والتفكير به وكعادة المراهقات ومن هم في مثل سنها، تمسك بدفتر مذكراتها الوردي، وتبدأ تعبر عما يعتريها من مشاعرٍ تجاه حبيبٍ مجهول، تتمنى أن يأخذها بعيداً معه من دون أن تفكر في أي شيءٍ آخر سواه.....تقول له وهي مختبئة في غرفتها، متوارية عن كل نظرةٍ قد تشك بها أو تساؤل عما جرى لها:

أعود مجدداً لأعبر لك عن حبي وامتناني ببقائك معي بالرغم من غرابة طباعي، وتشوش أفكاري، وضياعي، وتشردي، وعدم

استقراري، وعدم وضوحي، وضبابية حبي وعشقي، وسراب غرامي.

هو مجدداً حبيبي الذي لا أعرفه، وملاكي الذي أتمنى لقاءه.....لن أمل البحث عنك، ولن أكتفي بأحلام اليقظة فيك!

أنت مولاي.. هوى لا يمكن نسيانه ولا الاستغناء عنه، ومصيبة من لامس قلبه هواك فقدانك......أنت أرض من لا وطن له، وجنة كل العشاق، وسماءٌ صافية ليومٍ ربيعي أضناه شتاءٌ قارص طال أمده...

أنت من يحلو لقاؤه بلا ميعاد، وأنت نرجس قلبي ومسكه الطيب.

عجزت يداي أن تكتب ما يريد عقلي كتابته، وكيف لها أن تفعل والموصوف أسمى بأن يوصف به ما أصفه!!!

متعة الحب استحالته، وعذابه في تحققه، ودواؤه أن تهيم بخيالك بحثاً عمن تحب في ذكرياتٍ ماضية، وبين سطور قصاصات ورقٍ لها ذكرى في النفس لا تنسى.

ما أجمل أن تحاكي نفسك وتخاطرها عن حب رجلٍ لا وجود له إلا في خيالك، وفي ثنايا قلبك.

أسعد حين أفكر به قبل أن أنام أو في لحظات وحدتي وسكوني وشجني، أخاطبه وكأنه بجانبي، يسامر كلاً منا الآخر بحديثٍ لا معنى له إلا أنه من عاشقين متيمين، كل همهما أن لا يفرقهما الوقت، وأن يبقيا بجانب بعضهما، متسمرين النظر والإحساس، وكأن غذاءهم وهواءهم يأتي فقط من رفقة الآخر!.

هو حلمٌ آثر الهوى أن يطيله، وواقعٌ استحال تحققه، ونجوى نفسٍ أضناها البحث في المجهول!

يا له من حلمٍ أحياه معك، وياله من حاضرٍ يبعدني عنك! لكنه

وقتيٌ ومؤقت فحالما أكبر أكثر سأجدك في يومٍ ما تطرق باب أهلي طلباً ليدي لنكون سوياً عشاً زوجياً سعيداً، أكادُ من فرط تأكدي منه أن أخبرك بشكله، ونوع أثاثه وزينته، ومراتب أسرّته وملاياته، كما أسماء أبنائنا وبناتنا وملامحهم، عدا عن أخبار مدارسهم وتفوقهم ومشاكلهم التي يضيق بها صدري أحياناً.

بالرغم من أني ما زلت أعيش الحلم، إلا أني متأكدة من تحققه ومن واقع كونك فيه معي وشريكاً لي.

ما كتب جزءٌ من نظرة الفتاة لمستقبلها، وطيف من أحلامها الرومانسية التي تختنق عبراتها في صدرها من دون أن تفصح بها لأحد، لأننا عودناها أن الحرام هو العيب حتى وإن كان بريئاً وحواراً للإنسان مع ذاته.

عودوا بناتكم على الصراحة، وقوموهن بالحسنى، ولا تمنعوا عنهن فقط المشاعر الإنسانية النبيلة، بل كونوا عوناً لهن لأن تنتهي تلك المشاعر أخيراً في خانة الصلاح والفضيلة والخير لهن.

الأنثى بتكوينها تتشارك مع مثيلاتها في الخليقة صفاتاً مشتركة تميز أحلامها، لكنها تختلف عن بعضها بخصوصية المجتمع والعادات والتقاليد، كما تشكل البيئة والعرق والأصل عامل الاختلاف في تطلعاتها.

ما تطمح له المرأة العربية المسلمة قد يختلف بشكلٍ كبيرعن مثيلتها الغربية، حيث تتراوح الفروقات ودرجتها حسب البلد والمنطقة والمرجعية الثقافية والفكرية والدينية، وما يميز بيئتها عن غيرها من قوانين وأعراف وقبلية ومناطقية، في الوقت نفسه نالت النساء في بعض الدول العربية حقوقاً لم تضفِ لها رونقاً، وإنما ساعدت في الهوة المجتمعية التي رأت في مثل ما مُنحت متعارضاً مع قناعاتها الدينية والعرفية.

دول أخرى مارست الاستقصاء تجاه المرأة ودفنتها في إطار ظالم جردها من حقوقها كإنسانة، بل مورس عليها أبشع أنواع الظلم والاضطهاد.

مفاهيم الحرية وثقافة الخصوصية تعتمد على المكان الذي تنشأ فيه الفتاة، والاختلاف قد يكون شبيه لما يمكن أن نسميه بالنقيض، ففي حين صنفتها مجتمعات بالشريك من دون أن يُنقص شيء من حقوقها، تداعت حقوقها عند أخرى فقوقعتها ضمن مفهوم العورة، وجردتها من المفروض لا المكتسب فقط، بذرائع العادات والتقاليد، والخوف عليها من أن تخسر شرفها. فيما عُدت بالعار والفضيحة

التي يجب غسـل آثارها بالتخلص منها في حال أخطأت، في الوقت التي منحت فيه صكوك الغفران والمسامحة للشاب إن أخطأ، ومهما كان سوء تصرفه وفعله.

يُعد تفتـح زهـرة البلوغ لـدى البنـت العربيـة والمسـلمة مغايراً في شـكله في العديد مـن الـدول، حيث يعني فـرض قوانيـن المرأة عليهـا وتجريدهـا مـن طفولتها التـي قـد تجاوزتهـا بقليـل، وإلزامها بالشـرائع الدينية التـي تحدد مـا عليها مـن واجبات، وشـروط عليها الالتزام بها، ومنها على سـبيل المثال لا الحصرضوابط اختلاطها مع الذكروالتعامل معه، فيما تكرس العادات والتقاليد وبشدة مبدأ الفصل بينهما، ومنع الاتصال إلا وفق حدود ضيقة.

التصرفـات المتداولـة لمرحلة مـا قبل البلـوغ لـدى العديد من الأسـر، تعتبر وقتاً للتهيئة والإعداد، ومرحلة للتحضيـر لتحول البنت من طفلة لفتاة، حيـث تمارس فيها تصرفات سـيئة تخرج من إطارها عند البعـض، فبدلاً مـن أن تكـون تربوية بناءة ومسـاعدة لهـا، ولبنة نفسية وفكرية وجسدية سـليمه؛ تصبح هدامة وقاتلة لحلاوة المرحلة ومجهضة لآمالها وأحلامها وتوقعاتها.

كثيـراً مـا يُقـال ويُـردد أن فتياتنـا الشـرق أوسـطيات إختلفـت أحلامهن عـن جيل الأمهـات والجدات، فلـم تعد ما تفكـر الفتاة به محصوراً بزوج وأبنـاء، وإنما كيان مسـتقل وتعليم وفكـر حر، وحق في اتخـاذ القـرارات المصيرية فـي حياتهـا، وأيضا السـعي للتخطيط لمسـتقبلها دون أن يفـرض عليهـا، أو تكـون فيـه الطـرف الأضعف تحت رحمة السيطره الذكورية والعائلة والقبيلة.

المـرأة العربية الآن هي أكثر إصـراراً على أن يكـون لها الريادة في مضمار التعليـم والصحة والأدب، والمشـاركة في السياسـة وفي

القرارات الوطنية، كما أنها اقتحمت مجالاتٍ حُرّمت عليها سابقاً، أو منعت منها، أو كان من العيب دخولها، لتُبدع فيها وتثبت للجميع أن لافرق بينها وبين الرجل.

تغيرت أحلام فتياتنا وانتفضت تطلعاتهن على واقعٍ حصرها بين جدران المنزل، وأبين إلا أن يبرهن العكس، وهذا ما حدث دون مواربة أو تضليل وتعتيم، ليكرسن حقهن الإنساني الذي لا جدال فيه، ولن تقدر أي قوةٍ أياً كانت سلطتها أن تحرمها منها أو تمنعها مجدداً، وتعيدها لسابق عهدها الذي تمردت عليه وأبت أن ترى نفسها فيه كما صورتها لها سلطة الرجل.

منطقياً ومن باب النصح للمرأة، وحتى لا يختلط عليها الأمر، يتحتم عليها أن تكون في أحلامها وتصورها لواقعها وحياتها وممارساتها متوائمة مع جنسها وخلقتها الأنثوية، في مشهدٍ يعكس خصوصيتها ولا ينقص من قدرها أو يحط منه، مع التأكيد على عدم التجاوز والتمرد على الموروثات الحقة والتعاليم الدينية الأصيلة - ولا أعني المختلقة والقبلية والمتعصبة والعنصرية - ولا داعي أبداً أن تحاول أن تثبت لمجتمعها بتمرد وعشوائية أن لا فرق بينها والرجل!

لكلا الجنسين ذكوراً كانوا أو إناث مجالات مشتركة تجمعهما ولا تفرق بينهما على أساس جنسهما، كما أن من المنطق الإيمان أن الاختلاف في أخرى مسلمٌ فيه ولا عيب به أو انتقاص وتفرقة، وإنما احترام لكينونة كلاً منهما ووضعه في مساره الصحيح دون مبالغة.

شباب العرب منقسمون ما بين الحداثة والتغريب، وبين الجاهلية والرجعية، بينما يوجد في المنتصف طرف آخر وسطي يطمح لأن يكون سلفاً صالحاً لآبائه وأجداده. كلٌّ منهم يتعرض لحملة استقطاب وجذب، لأن يكون تلميذاً فكرياً، وتابعاً لأفكار آخرين وأيديولوجياتهم.

بين هذا وذاك، يقع الشاب حديث العهد بالرجولة تائهاً لا يعلم اتجاهه، يحارب في داخله رغبات التمرد ومشاعر الرجولة، فيما تلطمه عادات المجتمع وتعاليم عائلته وقبيلته، من دون أن يلقي أحدٌ بالاً للأحلام التي تعتمر بداخله، وتكاد تنفجر من فرط احتجاجها، لكنها مكبوتة ومرغمة على أن لا تفصح عن نفسها.

ربما قديماً، كان الذكر يشب وهو بصحبة أبيه، رغبةً من الوالد بأن يحتذي حذوه، يتعلم منه ويقلده، يجري إعداده ليكون قالباً يسير على نفس النهج، ولكن من دون أن نحاوره لنعرف منه ماذا يريد، وإلام يطمح؟ وما هي رغبته لمستقبله!

جيل اليوم كما نسميه، متمرد وطامح، ويرغب بأن يكون مختلفاً، كما أنه يرى تجربة من سبقه مملة وروتينية ومقيدة بأكاليب المجتمع، والتي يرى فيها عائقاً أمامه لتحقيق ما يحلم به، ويطمح إليه.

بكلاليب

أحاديث مراهقتهم مشتتة بين هوسهم بأنواع السيارات الرياضية ومواصفاتها وأسعارها، كرة القدم هوايتهم، ولاعبوها ومسابقاتها

أمست جزءًا أصيلاً من حواراتهم، يجذبهم المغنّون والممثلون ويعدونهم قدوتهم، يتابعون أخبارهم، ويحفظون عن ظهر قلب أغانيهم، كما يقلدون ما يظهرون به ويلبسونه.

تصرفاتهم جعلتنا كآباء وإخوة كبار نراهم سطحيين وتافهين، ولا مبدأ لهم أو طموح، وإنما مقلدون أثر عليهم الغرب فجعل منهم دمى لخراب الأمة عبر تدمير شبابها.

ردات فعل بعضهم إن تغرّب، وترك أسرته لغرض الدراسة، قد تكون مثلاً كنتيجة لتمرده على واقع حياته السابقة في ظل حكم والديه، قد يستوعب الدرس جيداً، ويتحمل المسؤولية مبكراً، ويعمل على تنفيذ وصايا أهله، أملاً برضاهم وبالتوفيق. لكنه قد يرى الفرصة سانحة له، لكي يعلن تمرده الذي طالما أخفاه في صدره، تصرفاته هي النقيض لما طلب منه أن يكون، من دون أن يعي الصواب من الخطأ، وإنما الرغبة بأن يكون في تصرفاته «هو».

للفتى أحلام قد يتحكم في بعضها، لكن أخرى منها تظهر كتجسيد للمرحلة التي يعيشها، لكنها كالعجينة الخام، تمنح الفرصة للقادرعلى تشكيلها، وتوجيهها نحو الشكل المناسب، ولكن بحكمة وبتعقل، وبخطى رزينة، تقود الشاب نحو الصواب من دون أن تشعره بأنه مسير، بل تؤصّل لديه القناعة بأنه مخير، وبيديه القرار ليختار الصواب، وليفرق بين الجائز والمرغوب، وبين الممنوع والمحرم والباطل.

في الغرب وفي المجتمعات المتفتحة بلا ضوابط أخلاقية، من السهل على البنت أن تبدأ باكتشاف الجنس الآخر، فيما تحركها غرائزها للاتصال به وتجربته والاندماج معه، من دون ضوابط مجتمعية، يلعب حتى الأهل والمجتمع والمدرسة دوراً في تعبيد الطريق أمامها، بل أن المتحفظة قد يشك فيها ويظن أنها تعاني من مشاكل نفسية.

في التعليم، لا فصل بين الذكور والإناث لدى المجتمعات الغربية، بل مشاطرة لصفوف الدراسة من أولاها وحتى التخرج من الجامعة. فيما العديد من المجتمعات العربية سارت على نفس النهج وعلمنت «الفصل» التعليمي، لكن أخرى قننت الفصل بينهما اعتباراً من أولى سنوات الدراسة.

لكلا الطرفين حججهما في ما يطبقانه من إطار الدمج أو الفصل، ففي حين يرى دعاة الفصل أن السبب ليس فقط عقائدي، بل عرفي يكون مرجعه العادات والتقاليد، التي كرست فكرة أن اختلاط الولد بالبنت في الدراسه تشتيتٌ لهما، وإثارةٌ للغرائز، وهدمٌ للأخلاق، ودعوةٌ للفجور. كما أنهما يتصورانه كمن يصب الزيت على النار ويوقظ فتنة يصعب إخمادها.

دعاة الدمج التعليمي يرون النقيض فيما سبق، بل يكرسون مبدأ الانفتاح الإنساني بين الجنسين، ويتبرأون من مظلة الدين، كما أنهم ينبذون التقاليد، ويدعون لحرية الفرد في اتباع تسيير غرائزه ومشاعره

الإنسـانية، التي لا بد أن يكون طرفاها ذكر وأنثى، كما أن الاختلاط التعليمي في وجهة نظرهم فرصة لتنشئة سليمة، وتعارف على أسس، وتطويع للغريزة البشـرية، كي لا تنشأ على المجهول تجاه الآخر، بل تكبر على معرفة وتناغم يساعد على تكوين سوي للمجتمع.

الطـرف المطبـق للفصـل مرجعيتـه الدينيـة لا يمكـن أن تغيب عن فكره، كما أنه تربى علـى تقاليد يرغب في اسـتمرارها، وتصوره لشـكل العلاقة لا يمكـن النقاش فيـه أو تغييره. فبالنسـبة له ما نشـأ عليه، هـو خير طريـق يجب علـى أبنائـه وبناتـه اتباعه، وما يشـاهده ويسـمعه عن المجتمعات الأخـرى المناقضـة له، هي الضـلال بعينه وغرق في ظلمات الباطل.

الآخر الـذي ارتـأى الاندمـاج، يـرى فيـه نكرانـاً لمـا يظنه في نفسـه تناقضاً بين الدين والحريـة الفرديـة، ورجعية معادية للمشـاعر الإنسـانية، بـل إن المتطـرف منهـم يدعـوه بالتخلـف، وتكريس فكر العصور الوسطى.

بين هذا وذاك، وقبل أن ننحاز لطرف على حساب الآخر، علينا أن ننحـاز لما ينظـم سـلوكنا ويهذبه وفق أطـرٍ يراعى فيهـا، العادات والتقليـد، ورأي الديـن الـذي ارتأينـا لأنفسـنا اتباعـه، والعمـل وفق تعاليمه.

دعوني أقولها لكم قبل أن أبدأ، وأُكرر فيها على مسامعكم ما كتبته في المقدمة بأني لست بعالم اجتماع ولا أخصائي نفسي أو استشاري مشاكل زوجية، وإنما أنا بشرٌ مثلكم، كما أنني ليس لي من الخبرة ما يجعلني منظّراً أو حكيماً واعظاً يلقي على مسامعكم نصائحاً قد لا يطبقها على نفسه قبل الآخرين!

ما أكتبه هو حوارٌ مع الذات أتقمص فيه شخصية الممثل الأوحد للرجل، وأعيش فيه قصصاً تتهاوى أمامي كل يوم من صديقٍ أو قريب أو حتى أشاهدها في عالمنا الواسع، الذي أصبحت هذه المشاكل فيه كثيرة لدرجة أن حالات الانفصال بين الأزواج باتت في نسبٍ مقاربة في بعض دولنا لنسب الأزواج الجدد.

المتتبع لحالنا الإجتماعي المعاصر، والمقارن له مع ثلاثة أو أربعة أجيالٍ سابقة، عاشها لنقل آبائنا وأجدادنا وأجدادهم بالتوالي، يجد تغيراً ملحوظاً في المفهوم الإنساني والعملي للزواج بيننها وبينهم، كما اختلاف في شكل العلاقة وطريقة ممارستها، والتعامل الإنساني بين الزوجين فيها والبيئة والعائلة والأهل والجيران والأصدقاء.

حياتهم ومجتمعهم في تلك الأوقات كانت أكثر استقراراً ومحبة؛ بالرغم من أن بعض المخطئين من أبناء جيلنا يُرجعون بداية الحب والرومانسية بين الأزواج لعصرنا هذا الذي نعيشه، وكأن من قبلنا كانوا متجمدي المشاعر والأحاسيس عمليين لدرجة أن زواجهم

التقليدي لم يكن إلا لترسيخ المفهوم الاجتماعي للأسرة وتكوينها، من دون أيما اهتمامٍ للعواطف، والتي أشعر أن شباب هذا الجيل ظنوا أنهم من ابتدعوها، ولم يعرفها سواهم!

بساطة معيشتهم وشفافيتها كانت أكثر وضوحاً، كما الترابط الاجتماعي والصلات الإنسانية، التي كانت تغذيها قيم جليلة، يسود فيها الحرص العام على الآخر، فينعكس إيجابياً على مفهوم الأسرة وأفرادها وتصرفاتهم تجاه أنفسهم والآخرين.

إن نظرنا للأمر بتجرد ومن دون مقارنة بنمط الحياة سابقاً وحالياً، لوجدنا بلا أدنى شك أن المشاعر الإنسانية واحدة، منذ بدء الخليقة واقتران سيدنا آدم بأمنا حواء عليهما السلام. كما أن أساس الانجذاب بين مختلفي الجنس وهما الذكر والأنثى يرجع إلى إحساسٍ روحاني تحركه رغبة وغريزة خُلقت بداخلنا كبشر، مُنحوا العقل والقدرة على تكوين المملكة الإنسانية، التي شكلت كل الخلائق ودونما استثناء.

هذا الواقع ينفي حصر المشاعر بفئةٍ أو زمنٍ معين، فهو الماكينة المحركة لكل الحضارات الإنسانية، بل إن رجعنا للخلف لوجدنا أن سمو الهوى والحب تجلى في أُممٍ سبقتنا بمئات السنين، ولم يتوفر لديها من سبلٍ للتواصل كما للمحبين في يومنا هذا.

الحب من أسمى ما وهبه الله سبحانه وتعالى للبشر وميزهم به، وهو الركيزة الإنسانية التي تنشأ منها وتبدأ العلاقة، كما أنها به تستمر، لا تفرق بين لونٍ وعرق، فقيرٍ وغني، متعلمٍ وجاهل أو بدائيٍ ومتمدن.

هو النشوة التي تحرك المياه الساكنة في داخلنا لتؤجج العواطف، فتخلق مع هيجانها روحانية الهوى والتواصل، وبه تكون

الاستمرارية، ومنه تنبع المودة، وبه تنتهي الرحمة.

هو الصفة البشرية التي لـن يختلف فحواها وسـمتها وشـكلها وطعمهـا ولونها وبريقهـا وهيجانها واشـتعالها واتقادهـا مهما تغيرت الأجيـال واختلفت الأمم والقبائل والشـعوب، في ظـل اختلافٍ كبير فـي العـادات والتقاليـد والبيئـة والوسـط الإجتماعـي ودرجـة الثروة والحظوة والمكانة الاجتماعية.

هو أصل الإنسـانية والمشـكل لآدميتنا، به تسـتمر السلسـلة في التكاثر اللامتناهـي، وتدور عجلة الزمـان والمكان، وتتبـادل الأجيال الأماكـن، وبدونـه تنتفـي عنا صفـة الآدميـة ونتحـول إلى بشـرٍ آليين لا تحركهم فطـرة أو غريـزة، وإنما برمجـة البيئة المحيطـة لحاجاتها ومطالبها، نؤدي وقتها أدواراً مرسومةً لنا مسبقاً، ومن دون أن نتذوق وقت أدائها طعم المتعة وشعوراللذة.

حصـر الحب في أشـكالٍ نراهـا في السـينما وتحجيمـه لصورة نمطيـة نهايتها إمـا سـعيدة أو حزينة كما يصـور لنا بقصص متشـابه، حيث تنشـأ علاقـه بيـن شـاب وفتـاة لا بـد أن يعارضها أحـد أفراد العائلة نتيجة فروق طبقية أو اجتماعية، هو الشـكل الذي بدأ يترسـخ في اللاشـعور لدى النشـأ، لذا تجده قد هيأ لنفسـه لا إراديـاً البحث عنه عند تواجـد مقومات حدوثه، كاجتماع الجنسـين في مكانٍ واحد بسبب التعليم أو العمل أو المجاورة.

سـمو الحب يتجلى في كل شـكلٍ من أنماط حياتنـا وتصرفاتنا وتعاملنـا الإنسـاني مـع الأرواح والأبنـاء والأصدقـاء، أو حتـى مـع الغرباء حين نمنحهم فرصاً في حياتنا نستحقها أكثر منهم. فهو حينها يكون حب الإيثار وتفضيل الغير على النفس.

لن نـدرك أهميتـه إلا إذا اجتهدنا وحاربنـا ببقائه معنا، فسـيبقي

هو حينها جوهر كوننا بشر من شعوبٍ وقبائل، لكننا في النهاية فيها مصنفون لذكرٍ وأنثى، قُدر لهما أياً كانت الصلة الإنسانية بينهم أن يجمعهم ويربطهم ويوحدهم تحت مظلته.

من غير الضروري أن نعبر عنه بألسنتنا، فالبشر نوعان: حسيٌ ولفظي، منهم من يعبر عن مشاعره بالكلمات وآخر بالتصرفات، حيث تتحكم حواسه وجسده بالتعبيرعما يوجد بداخله أكثر من أن ينطقها بجمل أو حديث.

في حين أن آخرين كسروا حاجز الخوف والارتباك في داخلهم، ووجدوا أن أفضل تعبيرٍ عن أحاسيسهم يكون بقول ما يدور في الخلد ووصفه للآخر.

لكلٍ منهما ما يميزه ويعيبه، لكن الأجمل والأسمى والأروع والأرق أن يكون الحب خليطاً يمتزج به الاثنين معاً ليكونا أكسير الحياة الذي لا يطيب العيش إلا به.

الحب أو أياً كانت تسميته ليس إلا أحلاماً غير واقعية تفسد حياة المراهقين وتجرهم وراء سراب أحلام هوى لا يمكن تحقيقه.

لا أفلاطونية فيه ولا سمو كما يحاول بعضهم تصويره، وإنما مزيج من الأوهام التي يصنعها الخيال ويُهيأ للمتعلق به أنه لا يمكن للحياة أن تكون بدونه، وكذلك طيب اللقيا والأوقات.

هو وهم يشغل بال الجيل ويتيههم عن العقلانية، ويغرقهم بأمواجٍ عاتية من المشاعر المصطنعة والأحاسيس المغررة الكاذبة التي تحطم أجسادهم وتُغمي عقولهم وتسمم متعة أيامهم في لهاثهم باتجاه هوى نفسٍ شيطانية مضللة لا تريد بهم الخير أبداً.

ما سبق رؤية لقومٍ يرون ضرورة محاربة الحب والقضاء عليه والتحذير منه ومحاربته، فهو مفسدة للأمم ودمار للأخلاق ووباء يتفشى بين شبابنا يجب زجرهم عنه ونهيهم، وتحويل انتباههم عنه نحو مشاعر أخرى أياً كانت لكنها أسمى من وجهة نظرهم وأحق أن تتبع، كما أن فيها الخير الكثير للصالح العام والخاص على حدٍ سواء.

على الجانب الآخر من النهر تيارٌ يدعي لنفسه أنه الأسمى مشاعراً والأكثر أيماناً بالحريه واحتراماً لمشيئة الفرد في تقرير مصيره وعيش حياته وفق أهوائه وغرائزه من دون أن يؤنبه وخز ضمير، أو يطارده شبح عادات أو غول تقاليد يكبل حياته ويجعل منها جحيماً لا يُطاق.

هو داعية المشاعر الإنسانية والمدافع عنها ضد قمع الطرف الأول وتخلفه وهمجيته وبدائيته، وقسوته المفرطة في التعامل مع القيم السامية والبناءة.

أهدافهم كما يدعو تحترم إرادة الجسد وغريزته، وتبغض الحجر على العقول والتبعية العمياء، والتحكم بما للآخرين من هوى نفسٍ لا يمكن الحجر عليها أو تقييدها بأي حججٍ أياً كانت من عاداتٍ وتقاليد أو تعاليم دينٍ سامية!

بين هذا وذاك يجري تيار النهر بسلاسة وعذوبة في ظل جوٍ صافي ورياحٍ هادئة لم يؤثر عليها رأي أيٍ من دعاة الضفتين المتقاتلتين، يرى أن المشاعر النبيلة الصادقة التي لا تتجاوز الحدود هي من أسمى ما أنتجته إنسانيتنا، ومن أفضل ما ميز خلقتنا، ومن أجل ما تحلت به أرواحنا، إن أحسنَّا سقايتها ورعايتها والحفاظ عليها وتشذيبها مما يعتريها ويلتصق بها من مساوئ، ستنمو وفق الإطار الصحيح ولن تشذ عنه، حينها سيحصد شبابنا وبناتنا أجمل ما في كونهم بشراً خلقوا من جنسين متضادين هما الذكر والأنثى.

حب الرجل وحب المرأة

احترنا كيف نصنف الحب وكينونته لدى الرجل والمرأة، فإن كان مسماه واحداً في كلتا الحالتين، إلا أن سمته تتراوح بين النقيض والمشترك.

المرأة ترى في الحب غاية وهدف لاستقرار حياتها، تكمله بالتملك، وترفض المشاركة فيه أو المحاصصة، تسعى له بكل وسائلها الأنثوية، ولا تألُ جهداً في سبيل تحققه، لها يمثل أساس العلاقة، وبدونه تنتفي عنها الصفة، لتكون الحياة روتينية رتيبة، لا مشاعر فيها ولا أحاسيس.

للرجل.... الحب هو المكمل للعلاقة وبه تنتهي، يتقبل به المشاركة والمحاصصة، ولا مانع لديه أن لا يكون حصرياً لمرأة واحدة في إطار العلاقة الشرعية، وإن كان هذا بالنسبة للعديد أيضاً تشتتاً مرفوضاً، إلا أن فئة كبيرة من الرجال تراه حقاً لها، ولا عيب فيه.

بالنسبة لها، إن تخلصت عن عنادها، فقد بلغت القمة فيه، فيما إن طوَّع الرجل كبرياءه، وتحكم به، يكون بدوره قد وصل معها للإيثار في الحب.

يوصف حبه وإخلاصه عند بعضهم بالكتابة على الرمل والماء، من السهل أن تذره الرياح ويختفي، فيما هي تصف نفسها بأنه إن تملك قلبها، فستمتد جذوره فيه، ولن يكون زواله إلا بانتفاء الحياة عنه، فإن كان بعض الرجال على استعداد لأن يقتلوا أنفسهم من أجل

الحب، تدعي المرأة أنها من الممكن أن تموت من الحب!

بالنسبة للأنثى، الحب هو قصة عشقٍ تكون هي بطلتها، ومحور أحداثها، فيما يكتب تلك الرواية رجلٌ تعلق قلبه بأطلال امرأة، يروي بها أحاسيس نبيلة، ومشاعر راقية ربطت قلبين ببعضهما.

في الصداقة يتغلب عليها ويثبت أنه الوفي الصدوق، لكنها في الحب تتفوق عليه، وتهزمه من أول جولة!هو فيه كالثعلب المكار، حذر ومتحفز، مراوغ لا تعرف له كنهاً؛ فيما هي تعلنها صراحةً أنها قد أخلصت له، ومستعدة بأن تضحي في سبيله كل ما لا يمكن أن تفرط به في أي ظرفٍ آخر.

تتجلى قوته بتحكيمه لعقله، وتنحيته لعواطفه جانباً، وعمله بما يمليه عليه فكره الذي يستمد منه صلابة موقفه وتمرده؛ فيما هي تعلم أن سلاحها الذي يشكل ترسانةً لا تنضب ولا تجف، ولا يمكن مقاومته هي دموعها القادرة بها على أن تكسر أصلبهم، وأعتاهم وأكثرهم تجبراً وقوةً، وتمسكاً بآرائهم ومواقفهم. ضعفهم أمام جريانها من عيون باكية، له مفعول الأكسيروالدواء القادر على امتصاصه، وتراجعه عما اتخذه، بل تنازله في سبيل أن تتوقف..

إن أردت أن تخاطبه فوجه حديثك لعقله، ولا تحاول استمالة عواطفه؛ فيما إن أردت أن تنال اهتمامها، وأن تحوزرضاها، فعليك حينها أن توجه كلماتك باتجاه قلبها....!

الحب في عالم المرأة

المرأة مخلوق خجول وذو حياء حتى في أشد مراحل تحرره، وليس من السهل عليه أن يتخلّى عن كبريائه لأحد حتى لو كان لمن يحب؛ لكنه ومهما حاول إخفاء مشاعره، ستُفضح إن أحبت بكل جوارحها، وسيسهل كشفها عبر تصرفاتها التي لن تستطيع مواربتها حتى لو حاولت، فهي عفوية لا إرادية وصادقة غير مفتعلة.

ستشع نوراً وضياءً، وستمتلىء حياةً وعنفواناً، وسيرسم الحب على محياها إبتسامات الرضا والهيام، فيما سيقتلها إن خذلها، وستكون انتكاساتها شديدة للدرجة التي سيصعب مسامحتها فيه لمن تنكرلها.

الحب عند المرأة ربيعٌ وخريف:

إن أزهر سيضيء دنياها بهجة وسروراً، وسينعكس على من حولها، وستبذل فيه كل مقوماتها الأنثوية للبذل والعطاء، وستكون لمن أحبت عبيراً يملأ أجواءه بالريح الطيبة والسعادة.

خريفها إزهاقٌ لروحها، فإن استشعرت استهتاراً بمشاعرها أو خيانةً لها، ستكون ردات فعلها هجومية وثأرية، ولن تأل جهداً في الانتقام لما تسميه «كرامتها» التي أهدرها رجلٌ تلاعب بأحاسيسها وخانها وابتعد عنها، وفضل أخرى عليها، أو مل منها واعتبر حياته معها روتينية.

يمكن للرجل استشعار محبتها له إن كانت خالصة وصادقة بكل سهولة؛ فهي في الحب تبذل كل ما تملك لإسعاد وإرضاء من تحب.

تسـأل دوماً عنه وتتقصـى أخبـاره، تفضحهـا ابتسـامتها وتعابير وجهها لسماع صوته واسمه، تتلمس خبراً يروي ظمأها له.

تفضل دوماً التواجد معه، وتشعر بالغربة في غيابه عنها، تؤلمها وحشـة ابتعاده عنها، تتمنى أن لا تتركـه أبداً حتى في أشـد لحظات الإختلاف بينهما.

تشـعر به في بعده وتستشـعر الآمه وهمومه، ما يؤرقه ويضايقه، تتمنى أن تكون بجواره لحظتها كي تسعى للتخفيف عنه.

فن الحديث والاسـتماع عاملا جـذبٍ لها، تقيس بهمـا مكانتها لدى الرجل ومدى إنصاته لها، واهتمامه لما تقول له من أمرٍ يكدرها أو يضايقها أوينغص عليها يومها.

تحب أن تـرى في عينيـه نظراتٍ تعكـس إحساسـه تجاهها بأنه لها هـو الأخ والصديق والعشـيق والحامي والزوج والراعـي والمتيم بهواها.

المرأه العاشقة مسـتعدة بأن تضحي براحتها في سبيل من تحب إن رأت الدنيا من خلال محبها، سـتحارب الصعب والمستحيل وقد تعادي الصديق والقريب كي تكون بجوار من تحب.

بكاؤهـا أمامه سـهل ولا ضوابط عليـه، كما لا يمكنهـا التحكم به، فهو بالنسـبة لها من يزداد خفقان قلبها لحظة دخوله عليها، تهيئ نفسها لحظتها للسهر على راحته وإسعاده، فكيف لا تبذل ذلك وهي التـي انتظرته على أحر مـن الجمر حتى لو لم يكن يشـعر باشـتياقها تجاهه، وانتظارها لوصاله.

علمها حبها له أن تعرف ما يريد من دون أن ينطق به، تسـتطيع قراءته ومعرفة ما يعتري داخله من دون أن يخبرها بذلك.

ذات فراسـة، ومتقنـة لفهمـه حتـى لـو كان غاضبـاً، لهـا ذاكرة

قوية تمكنها مـن تخزين كل ما يتعلـق به، ما يحب ومـا يكره، كيف يتصرف في حالات غضبه وقوته، سمات وجهة إن كان متضايقاً منها أو بسب تصرف أو حديثٍ بدرعنها.

لديها قدرات مهولة على امتصاص غضبه والتخفيف عنه، قادرة علـى تهدئته والحـد من روعـه، بيدهـا أن تجعـل مما يؤرقـه صغيراً يسهل التغلب عليه، كما أنها قادرة على تسكين جوارحه وتطبيبها في سعيها لاستقطابه تجاهها.

لكم أن تتخيلوا أكثر مما ذكـرت عن المرأة إن أحبت وصدقت وأخلصت وتفانـت في حبهـا لمن عشـقته؛ ولكـن لن تسـتطيعوا أن تتصوروا أو تتوقعوا، ردات فعلها وتصرفاتها وأفعالها، وما سـتقوم به أو سترتكبه، إن اكتشـفت أن كل مشـاعر الحب والهوى التي بذلتها، قد قوبلـت في يـومٍ مـا بخيانـة أو جحـود واسـتهتار من رجـلٍ كان يشكل لها في ماضيها عشيقاً كانت ترى الحياة فقط من خلاله!

منكن من لايملك الرجل المفتول الجسد إلا أن يشقى من أجل نيل ودها، إن لامس الهوى قلبه وعرف الحب طريقه إليه، بعينيه سيرى الحلم وسيلمس الأمل.

الحلم بامتلاكها والأمل بوصالها.

سيبقى منكفئاً على نفسه متمنياً أن تبقى ملهمته وردةً عطره، مشرقة ومزهرة، رحيقها يعطر جدران قلبه.

إن كانت «هي» أمله، فجُل رجائه أن يبقى بصيصه متناثراً بينك وشقائق النعمان، أنت وكل مُلهمةٍ لعاشقٍ متيم رماه هوى نفسه بعشق زهرةٍ من ورود الزمن الجميل.

«هي» له الأنثى التي تحمر لها أوراق الورد إن نظرت لخديها، وينأى نسيم الشمال العليل أن يرخي هواءه خوفاً من أن يحجب عنبر نفسها، فزفيرها نسمة ربيعٍ حانية، فيما ثغرها كالخاتم المزركش بالمرجان، وأسنانها لؤلؤٌ مصفوف يُخشى عليها من أن تؤلمها يوماً قطعة حلوى ضلت طريقها بين فكي وجنتيها.

كنت له غاية الإنصاف فتمنى ألا تهرمي أو تكبري، أو تغضبي أو تحزني....، يناشدك ألا تبكي، فبكاؤك بالرغم من تشكيله لحبيبات لؤلؤٍ ناصع لحظة دمعه إلا أنه يدمي قلبه الذي لا يرى فيك إلا حورية البحر التي أمضى الليالي الطوال بانتظارها!

لن يثنيه أمرٌ عن طلب ودك، فأنت محور حياته، وكلمات أغنياته وألحانها، تفكيره ووجدانه، أنت قمره الذي يدور حوله، ليلهبه

الصبر علـى بعادك، ويلهمه الأمـل لكي لا يضل الطريـق نحو محور حياته وسعادة أيامه.

حين يبحـر في عينيك تتـراءى له الجنة والجنـان، وحين يلمس طرف شـعرك يتخيـل النـدى وقد تجمـع قطـراتٍ لتشـكيله، تحجب الشـمس عن الظهـور بتآلفهـا وتدرجها وجمـوح جنونها لتشـكل من أولهـا لآخرها ينبـوع نهرٍ منـزوٍ يسـقط من أعلـى قمة جبل، يسـلب الخلد بتموجه وغنجه ودلعه ورقة ملمسه وحلاوة طلته.

لا تتركيه وحيـداً ولا تتجنبيه، فلو كانت له المقـدرة لجعل من صورة وجهك شعار مملكته، فأنت رمزه الذي لاقيمة له بدونك وفي دنياه التي لا يملك فيها إلا عينيك وأحلامه!!!!

أتمنى أن لا أثير امتعاض بعضكم في ما سأكتب لكم هنا، كما آمل أن لا تنال سياط أقلامكم مني قبل أن تقرأوا ما كتبت مراتٍ عدة بتمعن، فأنا لست أحد دعاة الانحلال ولا كاتب أرخى العنان لهوى نفسه أن تضل، وإنما بشر من لحمٍ ودم يرى بداً وضرورة في تغيير مفهوم الجنس لدى أبنائنا والانقلاب على المفاهيم الخاطئة والعادات الجاهلية التي زادت من معاناتهم وتسببت في حالٍ من الجهل السلبي، والذي تظهر آثاره واضحة على حالة التخبط التي يعيشها شباب الأمة وفتياتها حينما يتعلق الأمر بالتطرق للجنس ومدى أهميته في التواصل النفسي والبدني في الإطار الصحيح، وبالطبع لا أتحدث هنا عن ما هو غير شرعي، فهو مرفوض بتاتاً من جانبي، ولا علاقة لما أتحدث به عنه ولا تبرير له بالطبع.

حدث معي في دراستي المتوسطة موقفٌ ما زلت أتذكره حتى اللحظة، وفيه فسر زميلي في الفصل معنى كلمة «ينكحها» التي وردت في نصٍ لمادة القراءة؛ وهو التفسير الذي أخجل من ذكره لكم هنا.

لكنه يكشف لنا مدى الانغلاق والتثقيف السلبي الذي يحصل عليه الأولاد في تلك السن المبكرة، التي يستقون من خلالها المعلومة من مصادر مضللة، في أغلبها من شباب في مثل سنهم أو أكبر منهم.

ما دعاني لاستدعاء هذا الحدث الذي ما زال عالقاً في ذاكرتي منذ أيام الطفولة هو الغياب التثقيفي لمن كانوا في سننا

عن أبجديـات التكوين البشـري وتكاثره من دون إسـفافٍ أو قذع أو مخالفةٍ للشرع. في وقتٍ كانت فيه وما زالت ثقافة المجتمع وأصول التربية تتمحور حـول تغمية العيون كي لا تـرى، وصم الآذان كي لا تسمع؛ وكأن الحديث فيه من الكبائر التي لا يُغفر الذنب فيها.

هناك فرق بين الإسـفاف والإفراط والتثقيـف. في الأولى تكون النتيجة كمن يعلم طفلاً أسـرارالحياة الزوجية، لكنه من دون أن يعي يزرع بذرة الفجور في داخله، ولا تسـتغربوا إن مـارس الصبي بعض التصرفات المشـينة أو تلفـظ بكلماتٍ قد تسـبب الحـرج لذويه أمام الآخرين.

في التثقيف؛ نشـرح للطفل بعض أسرار جسـده التي هي بفعل الغريـزة تثيـر فضولـه ويسـعى اللاوعـي لديه باكتشـافها وفهم سـبب وجودها لديه، كما أن التكوين الجسدي للذكر والمختلف عن الأنثى يثير فضول كلٍ منهما.

واجب الآباء حين ملاحظة علامات الاسـتفهام على طفلهم أن يشرحوا له وفق ما يمكن أن تسـتوعبه طفولته معنى أن يكون مختلفاً عن أخته من دون أن يحفزوا لديه المزيد من الأسئلة.

سيكون مثل من سـيلقي به في الهاوية لأن جسـده وأمعاءه غير مستعدة للتعامل مع مثل هذا النمط من التغذية.

بعـض الآبـاء والأمهـات يعمـل حتـى علـى تغييـب بناتهم عن المدرسـة في اليـوم الـذي تكـون فيه المـادة الدراسـية تتحـدث عن التكاثـر والجهـاز التناسـلي والـولادة وفتـرة الحيـض والنفـاس عند المرأة. عنـد أولئـك النفـر مـن الأهالـي قناعة جاهليـة بأن مثـل هذه المعلومات تفسـد عقول بناتهم؛ فيما هي ضرورة لاستيعابهم لحقيقة المرحلة التي بدأوا بدخولها.

الوعي الإيجابي التثقيفي أساس في بناء فكرٍ سليم يكون لبنة لشخصية سوية، وهو ضرورة نتجاهلها بحجج العيب التي أثقلت كاهل الأبناء، وجعلت من بعضهم لنفسه حقل تجارب لا يتعلم منه إلا بعد أن يُخطئ خطأً لا يمكن تداركه.

التواصل في المدرسة وفي المنزل للتوعية الجنسية للأبناء ضرورة وتكمن في أن ما سيصل لهم من معلومة سيكون من المنبع السليم المثقف والمقوم والمنبه، لا الداعي للتجربة والوقوع في الخطأ للاكتشاف.

تفتحنا في هذا المجال ليس مطلوباً منه أن يكون مماثلاً للمشهد الغربي اللاديني، والذي يختلف عنا في كون تعليمه يعتمد على المكاشفة الواضحة والتنبيه لا المنع والتحذير، كما أن ثقافتهم الجنسية تعمل على الحد من الأضرار الناتجة عن الممارسة الخاطئة وما يمكن أن يؤول إليه حال الشاب والفتاة في سن مبكرة إما عبر الحمل أو الإصابة بالأمراض الجنسية الخطيرة.

في حين ثقافتنا قائمة على مزج التحريم الديني بالنهي المؤطر بعاداتنا وتقاليدنا وأعراف مجتمعاتنا التي حددت فقط الزواج ليكون الإطار الشرعي الوحيد والجائز. وما تحرير عقول النشء واطلاعهم بشكلٍ ممنهج متدرج على هذا الأمر إلا أحد السبل لتشكيل فكرٍ قويمٍ لديهم ومكتسب عبر القنوات الصحيحة؛ لا التجربة والخطأ.

لا تناقض أبداً بين الحياء الذي نسعى لزرعه في قلوب النشء وبين العلم، ولن تكون ثقافة الجسد عملاً لإفساد أبناء الأمة وبناتها، وإنما تأصيل لأن يعي الفرد مكونات جسده وتطورها، كما يعي أن لديه غريزة تجذبه لشريكه الآخر، يجب أن يتحكم بها ويقومها ويسيرها تجاه الصواب والخطأ. كم أن على الفرد أن يدرك لكل

حادثٍ حديث ولكل أمرٍ أوانه، لذا عليه السـيطرة على غرائزه وعدم السير وراءها وإنما تسييرها لتكون المكون لشخصيته وطبيعة شخصه ونجاحه وإيمانه، التي سـيكون لها يوم ما إن قُدر لها ستلتقي فيه مع الآخر وفق المنظومة الإنسانية الوحيدة المقبولة فقط عبر الزواج.

منحت شبكات التواصل والتقنية المرأة العربية فرصةً لم تتح لها سابقاً في التعبير عن نفسها، وفي الخروج للعلن بما أخفته في صدرها لعقود، وحجر مجتمعها لها، الذي أراد لصورتها النمطية أن تكون زوجة «سي السيد» أو ست البيت التي ليس مطلوباً منها أن تتكلم أو تعبر، بل أن تنجب وتطبخ وتنفخ وتربي وتغسل!

الطاقة الكامنة في داخلها فجرتها الرغبة في أن تحتل ما استحق لها في الأساس، لكن المجتمع والعرف والتقاليد سلبها منها، ومنعها بحجة أنها ناقصة العقل والدين.... العورة التي يجب أن تستر، وتُخفى عن الأعين في مخالفةٍ واضحة لتعاليم ديننا الحنيف، الذي كفل لها الحقوق والواجبات كنظيرها في الإنسانية «الرجل».

المرأة العربية مبدعة وخلاقة، ولديها إمكانيات ظلت مطوية ومكبوتة، كما أنها قادرة على أن تسترجع ما سُلب منها، ولكن إن استطاعت أن تجيد معنا معشر الرجال لعبة «البيضة والحجر»، وأن تداونا بالتي كانت هي الداء. وذلك عبر التركيز أكثر على الأولويات والحقوق الأساسية، التي إن تحصلت عليها، أًصبحت الثانوية منها تحصيل حاصل ومكتسبة تلقائياً. حينها تكون قد وفرت طاقتها وجهدها، ولم تضع سدى وقتها في المطالبة بحقوق مفروضة، ولكن ركزت على المكتسبات التي تمنحها المجال أن تثبت مكانها كداعم للمجتمع وركيزة صلبة لتطوره من دون أن ينقص ذلك من واقع أنها خلقت لتكون لنا الأنثى.

تركيزها على حقوقها ينبغي الا يؤثر على ما عليها من حقوق وواجبات نحو أسرتها ومجتمعها وطبيعة خلقتها كأنثى، فقد ميزها الله سبحانه وتعالى بما لا يقدر الرجل عليه حتى لو امتلك الدنيا بكلتا يديه.

جرف المرأة العربية صوب الحرية المطلقة خطأ، شأنها كالرجل ولا فرق بينهما في ذلك، فما حُرم عليها لم يُحلل له وكذلك العكس، إنما الملاحظ أن دعاة حقوق المرأة قد ضللوها عبر تركيزهم على المطالب الثانوية المختلف عليها، وتناسوا جهلاً ما يجب أن يكون لها بدون حتى أدنى نقاش.

إن أرادت الأنثى أن تكون الشريك لا التابع، والمبدع لا المقلد؛ يتحتم عليها حينها أن تحسن التفكير والتخطيط لما تطالب به، وألا تنساق لكل دعوةٍ تنادي بحقوقها المسلوبة، فليس كل ما يقال عنها ولها في صالحها، والطريق لنيل هدفها مزروعٌ بالأشواك التي قد يكون من زرعها أو ألقتها في دربها امرأةٌ مثلها، لكنها غُرر بها وفهمت خطأً مفهوم حقها في الحرية وكيف تسعى له؟

ليكن مطلبها مرتكزاً على أن ثلاثة أرباع الحقوق هي نبلها وليس الصراخ لنيلها!

نساء في الشارع

لفت انتباهي في أثناء قيادتي للسيارة مشهد عادي وطبيعي وروتيني من الشارع والحياة، لكن ما لفت اهتمامي هو تعبير رأيته على وجه أم على ما يبدو وابنتها التلميذة، التي في اعتقادي في المرحلة المتوسطة «الإعدادية»، تمشيان في الشارع وعلى وجه الأم ملامح من يقول «يكاد المريب يقول خذوني»، فيما الابنة كمن يتعلق برداء أمه حتى لا تتركه، وحتى لا تسيؤا فهمي ولتفهموا الموقف على حقيقته، فالأم وعلى ما يبدو تصطحب ابنتها من المدرسة، والصغيرة تحمل حقيبتها المثقلة بيومٍ دراسيٍ طويل، وكلتاهما صادف مرورهما مروري وخروج موظّفين من دائرة عملهم لاستراحة الغداء على ما يبدو، ليكون المشهد كآخر نراه كل اسبوع حين تسليم الإمام في صلاة الجمعة....، تنطلق الأفواج صوب باب الخروج من المسجد، وكأن حملاً ثقيلاً للأسف قد أُزيح عنهم....، وحتى لا أشتتكم وأخرج عما أُريد قوله، وبناءً على استنتاجٍ شخصي بحت، ومن واقع رؤيتي لمفهوم المرأة لدى الرجل الشرقي، اتضحت لي الرؤية، فمرور المرأة وابنتها بجانب أفواجٍ من الذكور كفيلٌ بأن يلقي الرعب في الفؤاد، فبأقل التقديرات وكما قد يتبادر لمخيلة المرأة الوحيدة في الطريق، ستنالها الأعين إن لم تكن الألسن، وهو ما سيربكها ويدب الرعب في جسدها.

ثقافتنا يا أعزائي تجاه المرأة أحد أولى ما يجب التداوي منه، فهي للأغلبية شرفٌ (لا خلاف لي عليه)، ولكن لأهل بيته. أما إن

كان الشـرف لا يمت له بصلـة قرابة فهو متعة يسـترق لهـا النظر إن لم يتحرش بها وتؤذى، في حـالٍ لا ينطبق فيه الأمر على الصغير بل الكبير أيضاً، والمتزوج كمـا الأعزب، مردها أن الذكـر مهما فعل لا يعيبه إلا «جيبه»، والشـرف فقط لأهل بيته وما عدا ذلك شهوة يحق له الهجوم عليها والتمتع بها.

بـت أشـفق علـى النسـاء فـي مجتمعاتنـا العربيـة، إن اضطرت للخروج من منزلهـا، وإن ركبت سـيارتها الخاصة ضايقها السـائقون منا معشر الرجال وتهكموا على قيادتها، وإن استخدمت المواصلات العامة ولم يسعفها حظها بكرسي غير مشـغول تجلس عليه اضطرت للوقوف حينها لتتحمل التحرشات الجسدية. حتى ما إن تصل لعملها تجدها مضطرةً لتحمل ثقل دم الزملاء الأفاضل ونكتهم واستعراضهم للفت الانتباه.

في كل المواقف السـابقة ذئـاب ممن حدثتكم عنهم، لهم أسـر وأخوات وربمـا زوجـات وبنـات، إلا أن لديهـم مفهومـاً أعوج عن الشرف لا يتعدى دائرة نسـائهم، أما الأخريات فسبايا غزوات السعار الجنسي الذي يعاني منه بعض الرجال!

كثيـراً ما نتفلسـف ونقـول إن الغـرب جعل مـن المرأة سـلعة، وربما يكون قد فعل، لكننا ننسى دوماً أن الغرب «الكافر» استقى من ديننا ما يكرمها به ويحفظ حقوقها ويصون حقها الإنسـاني كشـريك، وليس كراحةٍ للبطن والجسد.

حبيبي وحبيبكم محمد عليه الصلاة والسـلام أوصانا بهن خيراً وقال: «رفقاً بالقوارير!....»، فهل اتبعنا قوله؟

أكره أن يكون ما نفكـر فيه عن المـرأة أنها مكبٌ لشـهوتنا، لا إنسـانيةٌ لها ولا حقـوق، ولا مـكان إلا المنـزل، وإن كان أن اضطر

الواحد منا لعـلاج زوجته أو أخته، أصر علـى أن يكون المداوي لها ومن يكشف عليها هي أنثى!

إن طالب أحدهم لها أمراً.... اتهموه بالتغريب، وإن انتقد ظلماً تعرضت له وصفـوه بالليبرالي! وإن ترك لها حريـة الاختيار لقراراتٍ لا تتعارض مع ديننا....وصفوه «بالمحكوم» ضعيف الشخصية، إن لم يجبرها على ما اختلف عليه....إتهموه بالديوث!

إن أوقفتـك إشـارة ضوئيـة وبجانبـك زوجتـك، لا إراديـاً أنت مسـتفز، وتشـعر بأنـك مسـتهدف، فمـا أن يتوقـف بجانبـك سـائق «وحداني»، تسـاورك الشـكوك وتشـعر أن هنـاك من يحاول اسـتراق النظر لمن تتلحف السـواد بجانبك! حينها ولا إرادياً تجد نفسـك قد قدمـت مقدمة مركبتـك حتى لا يبصـر زوجتك! ومع ذلك سـتحظى بلحظـاتٍ تتلفـت فيها من حولـك حتى تخضـر الإشـارة وتنطلق في دربك! أصبحنا مـن البجاحـة أن صارت المـرأة فـي مجتمعاتنا أكثر ما يلفـت انتباهنا، فبـدلاً مـن أن تكون شـريكة،،،،أصبحت للأسـف مملوكة!

الحديث عن نسـائنا يطـول ولا يكفيه مقـال أو تقريـر، لكن ما أردت قولـه لكـم ولـكل مغتصبي حريتهـا بالباطـل: إمـا أن تحترموا وجودهـا في الشـارع وفـي الطريق، ويكـون مرورهـا حدثـاً لا يُذكر ولايرى أو يلاحظ، أو أن تفصلوا شـوارعنا، فيكون لهن طريق معبد لا تشعر فيه المرأة بالخوف والارتباك والترقب!

أمرين احذر منهما المرأة والسياسة.......!

أمران يخاف منهما قلمي: السياسة والمرأة، لكنهما أمران متعلقٌ بهما فكري.

خوف القلم دائماً من أن يكتُبَ ما لا يُعجب، فيكسر أو يحفى، إن صادف هـواه زعامة أو رأي سـلطة؛ وصفـوه بالمطبل والمتسـلق والانتهازي والمنافق الذي باع ذمته وضميره، خائن المبادئ!

أما المرأة وبما أني رجل، فالحديث عنها ذو شـجون وحساس ومُربك وذو حدين!

إن كنـت مـن المتعاطفيـن معهـا المطالبيـن بحقوقها المسـلوبة وداعيـاً للمسـاواة، فأنت إمـا تغريبـي ليبرالـي علمانـي وفاسـد عُرفاً ومعاد للعادات والتقاليـد، وتحرري مُجرم غرضه فض شـرف المرأة العربيـة وإخراجها مـن قوقعةٍ باليـة فُرضت عليهـا، كمـا لا يمنع إن كنـت متزوجاً أن تغضـب عليك من هـي الأولـى بك...زوجتك! قد تتهمك هي الأخرى بأنك دونجوان... تتذرع بالدفاع عن المرأة حتى تأتي لها بضرة أو تكون علاقات! هذا عدا عن من سـيصفك بقاضي العذارى ونصير المظلومات، واللائحة طويلة أنأى بنفسي عن سردها لكم هنا، لكني متأكدٌ أنكم سمعتم بها من قبل.

عودةً مرةً أخرى إلـى نصفي وآخَرَكُمْ رفاقي معشـر الذكور، إن كان الرجل قوي الشـخصية أو متجبر أو ممن يعملون بالقول الشائع «شـاوروهم وخالفوهـم»، أو حتـى دلوعـة أُمـه؛ فتهمته جاهـزة وهو الملقب بالديكتاتوري القاهر الظالم القاسـي، ممن يجب زجه خلف

القضبان وإدخاله مصحة ليتعلم كيف يعامل النساء!

إذاً لو وقفت مع أي الجهتين فأنت خسران، فإما أن تكسب ود المرأة ويغضب عليك الرجل أو العكس صحيح.

إن عدت بكم ثانيةً للسياسة، لوجدتم أنفسكم مقسمين لليبرالي ومتدين؛، وبينهما يقع إما التساهل أو التكفير والتشدد، لا تقبّل للآخر وإنما تهم جاهزة وبُغض وتعصب، حتى أن الإخوة قد يفترقوا أو يتحدوا بناءً على اتجاهاتهم، فثقافة الولاء جوهرها أصبح لدينا تعصبٌ أعمى لا يرى إلا من هو في صفه، أما الآخر النقيض فهو في ضلاله غارق وفي غيه يعمه!

إن لم تكن معي أو تؤيدني؛ فبالتأكيد أنت ضدي، ليس هناك منطقةٌ وسطى في حياتنا ولا نقاشاتنا أو فكرنا، فإما أن تكون مع أو ضد، وفي كليهما لن تسلم من النقد وستنال المدح، أما أن تقف حيادياً، فتلك سلبية في عرفنا وأنانية. نحن إما أقصى اليمين أو منتهى اليسار، النقيضين تماماً، وكلٌ فيهما مؤمنٌ أنه الصواب والآخر شيطانٌ مارق، كلا النماذج تمثل التناقض، ويظن من فيها أنه على حق، وبين هذا وذاك نسوا ونسينا أو تغافلنا عن واقع أننا أمةٌ وسطية.

مشكلتنا أننا نقبع تحت مظلة الغفلة دهراً، وحين نستيقظ، تلهبنا الحماسة لأمرٍ يعمي بصيرتنا عن التفكير بتأني وتروي، فتكون ردة فعلنا أولاً ومن ثم نفكر، وتفكيرنا حينها يكون منصباً «للترقيع»، يقودنا بعضهم خلفه كالنعاج، نردد ما يقول بدون أن نفهم، وإن فهمنا، انقلبنا على أعقابنا!

التشدد والتشدق في المرأة والسياسة سيان، لا حلول وطرح منطقي، وإنما شعارات هوجاء عمياء، تحاول الأطراف فيها الكفاح لنيل المطالب، ولكن للأسف في بعضها بصفاقة وتطرف.

إن أردنا التغيير، فعلينا أن نبدأ بأنفسنا، بالمنزل والحارة، بالحي والمدينة ومن ثم الوطن. لن يكون ذلك بين يومٍ وليلة وقد لا يدركه جيلنا، لكننا إن أحسـنا سـقاية البذرة، فقد تثمر، وينعـم بها وبخيرها من سيأتي بعدنا.

المرأة والرجل من كوكبين مختلفين

هل حقاً نحن من كوكبين مختلفين؟

أشـك في ذلك، بل أجزم أننا من الطينة البشرية نفسها ونحمل في عروقنا الدم نفسـه، ويغطي أجسـادنا ويتحكم بها تلـك المنظومة الإلاهية المعجزة، والتي خلقنا منها شعوباً وقبائل هم بالأساس عبارةٌ عن ذكرٍ وأنثى.

أن تعرف وأنـت الآخر للجنـس المقابل ماهية شـعوره وتكوينه هو المفتاح للاسـتقرارعلى قناعةٍ أننا خلقنا مختلفين وسنبقى كذلك، لكن اختلافنا هو في الواقع سبب انجذابنا لبعضنا.

الاستقرار وراحة البال وإن مثَّلا قمة السعادة، إلا أنهما سيبعثان الملـل يوماً مـا بنفوسـنا، وسـتصيبنا حالة مـن الاكتئاب مـن فرطها، ومرد ذلك أننا لسـنا بمخلوقاتٍ آلية لا تملك المشـاعر، بل من بني آدم التي شكلت الأحاسيس لهم جزءًا من آدميتهم التي خلقوا عليها، وفُطروا بها، فكان لهم حينها نفسٌ تستشـعر في هـذه الدنيا أن يكون لها السكينة والراحة.

إن كان مـا ينغـص على كلٍ مـن الذكـر والأنثـى وجودهما في بيئةٍ واحـدة لمـا اتفقا يومـاً على العيـش سـوية، ولآثرا أن يسـتوطنا بقعتين مـن الأرض مختلفتين يبنـي كلٌ منهم فيها مسـتعمرته القائمة على جنسـه، ويحميها من كل مكدرات الجنس الآخـر، الذي بدوره سيسـعى أن يقتل أجمل إحسـاسٍ فـي داخله وهـو ما يحدثـه تلاقي روحه بآخره.

هـل تسـاءل يومـاً معشـرالذكورعن سـبب لهاثهـم وراء الأنثى، بالرغـم مـن أنهم فـي ظاهـر حديثهم الأكثـر شـكوى منهـا وامتعاظاً من تصرفاتهـا ونقداً لأفعالها، لكنهـا حين تكون بعيـدة المنال عنهم، تجدهم كالظمآن يحبو نحو سرابها.

المـرأة فـي المقابـل دائمـة التذمـر مـن غيـاب قناعـة الرجـل، ومتشـككة بوفائه، وخائفة على مستقبلها بأن تشـترك أنثى أخرى من نفس جنسها معها في ملكيتها الخاصة.

فـي جلسـات حـواء لا بـد أن تسـمع قذعـاً بالرجـل وبأنانيتـه وتفكيره المحدود بذاته، وبذبول مشـاعره وأحاسيسه التي ما إن تتقد حتى تخبو حين يحصل عليها.

تشعر أن اسـتمرار حياتها معه نمطية يتخللها روتين يقضي على كل أحلامها الرومانسية التي رسمتها في خيالها قبل تمكنه منها.

هو فـي المقابـل يراهـا سـطحية محـدودة التفكير، قـد أغلقت أبـواب الحكمـة في عقلهـا وحصـره دورها الإنسـاني على سـعادتها الشخصية.

لا تنظر للأمـر إلا من زاويـة «هـو يقصدني بذلـك»، يتجاهلني وكـأني قطعة أثاثٍ في المنزل مهملة، بالرغم من أنه قضى سنيناً من حياته في سبيل الحصول عليها والارتباط بها، لكنه ما إن تمكن منها واسـتطاع نيل ودها....، ما لبـث أن جفاها وانتقل وراء أخرى سـعياً لشـعورٍ آخر من اللذة اسـتغنى عن واقع أنها هي مـن منحته له أول مرة.

السـعادة بالنسـبة له في اسـتقراره عبر حاضـرٍ مترف ومسـتقبلٍ مضمون، أما هي فتراه بخيالها وبنرجسية الأنثى عبر مشاعر لا تنهكها رياح السنين ولا تنقص من ذروتها أوقات التكرار ورتابة الأيام.

لكلٍ منهـم مقياسٌ مختلف عـن الآخر، وكأنـه لا يلتقي إلا في أوقات المشـاكل، حيـث تُكسـر كل القواعـد على يد كل طـرفٍ في سـبيله أن ينال الفوز بالمعركة، التي هي بالنسبة لهما جولات، وفيها صولات يتخللها أوقات حربٍ وسلم، فيما الهدنة هي السمة الغالبة.

لو حدث يومـاً الجفاء بين كلا الجنسـين واسـتقلا عن بعضهما وكونا لنفسـهما قوانينهما الخاصة، واسـتصلحا أرضـاً نائية يعيش كلٌ منهما فيه بعيداً عن الآخر، بل لنقل لو استوطنا في كوكبين مختلفين؛ سـيأتي وقت سـيملا مـن اسـتقلاليتهما المزعومـة، وسـيثيرا بعضهما بأفعالٍ الغرض منها استفزاز الآخر لعمل إشكالٍ، في قرارة نفس كلٍ منهما هو محاوله للجذب والعيش سويةً مرةً أخرى.

ثقافة نسائية

أخبرني صديقي أنه بالأمس القريب دخلت عليه زوجته مقراعتكافه وجلست في مقعدٍ مواجه له وعلامات الغضب تبدو عليها وجلست صامتة....

استشعرت بغريزتي الذكورية (والقول هنا لصديقي) أن في بطنها حديثاً قاب قوسين بأن يخرج، ولأني رجل والواحد منا عامة ما يكون «على رأسه بطحة» ويشك بنفسه حتى لو كان ملاكاً يمشي على الأرض....،تسارعت في رأسي الأفكاروبدأت أراجع ما بدر مني على مدار اليومين الماضيين، بل إن الشك قد تملكني، فبدأت أتخيلها تقلب المحفظة وتفتش معطفي، وبدأت أتلفت يسراً ويمناً....أبحث عن المجهول وأحاول أن أعرف ما اقترفت يداي أو نظرت له عيناي «الزائغتين»، ولأني أعلم أني لم أرافقهم في نزهة لأكثر من أسبوع فلقد اطمأن قلبي أنها لا تحمل لي لوماً لنظراتٍ استرقتها (ربما) في غفلةٍ منها لسيدة أو فتاة مرت أمامي متطيبة بعطرٍ نفاث يثير المشاعر ويحرك الغريزة.... لكن قناعتي بأني دائماً ما أحاول أن أظهر لأسرتي بمظهر الشيخ الوقور، الذي لا يرفع عينيه عن الأرض في حال رؤية ما يسر الرجل ويغضب الأنثى سرعان ما بددت تلك المخاوف.

تركت ريموت التلفازمن يدي بعد أن أغلقت الصوت والتفت لها مبادراً....سلامات، خير إن شاء الله؟....، فإذا بعاصفة الصمت تكسر، وإذا بالغالية (أم العيال) تلومني وتعاتبني لأني طالما حثثتها

أن يكـون لها رأي بالشـأن العام، ومواقـف واضحة في السياسـة لما يدور حولها في هذا العالم.

ولكي لا أستبق الحدث وأفتح على نفسي أبواباً قد تكون غافلةً عنها، تركتها تكمل، وإذا هـي غاضبة ممتعضة....تروي لي ما حدث معها في جلسـة الصديقات الأسـبوعية، فلقد كانت العزيـزة المبادرة بيـن صديقاتهـا لتطـرح عليهن فـي النقـاش أحـوال بعض الشـعوب الصديقـة وتطلـب آرائهـن! وإذا بالجلسـة تنقلـب رأسـاً علـى عقب (والحديـث لها)، والسـبب أن كلاً مـن الحاضرات بـدأت تردد على مسـامعنا وبتشـدق آراء زوجهـا، ولا تعطي مجـالاً لأحد لمناقشـتها، بل توشك الواحدة منهن أن تصعد على الأريكة وتلقي على مسامعنا خطبتها العصماء، من دون أن تعطي فسـحةً لأيٍ منا لمقاطعتها، وإن انتقدناها، صرخت بنا واتهمتنا بالجهل والتخلف والرجعية...!

حينها شـعرت بالضيق وبـدا لي أن الميـول النسـائية العربية قد تبدلـت مـن الافتتـان ببرامـج الطبـخ والأزيـاء، والتخطيـط لحفلات الزفـاف، لتتحـول للسياسـة وتحليـل الأحـداث، حيـث اعتنقـت كل واحدة فكراً قد يكون لها أو لزوجها، وبـادرت الأخريات به وتنادت بشعارات شـوارعها، في جلسة تشـبه قمةً عربيةً مصغرة، تنوعت فيها الانتماءات الوطنيـة، وتحدثت كل مـن فيها عن بلدها ومـا يعتصرها من آلامٍ وهموم.

تتابـع حديثها وتقول: شـعرت بالأسـى حيال مـا اقترفت يداي، وشعرت بالحزن لأني كفرت بحواراتنا النسـائية، وأدخلت نفسي في لجة السياسة، ظناً مني أنني بذلك أكسر احتكار الذكور لها، وتعاليهم علينـا، ولكي أثبـت لك أننـا لسـنا بالجهلـة، سـطحيات التفكير كما تظنونا، بل مثقفات وواعيات، ولـولا حجركم علينا وحصركم لنا في

المطبخ لكنا الرائدات، وتغلبنا عليكم!

اكتشفت أن لا فرق بيننا وبين الرجال في التشدق بآرائنا، وبمحاولتنا تغييب الأخرى، وفرضٌ لفكرنا بالقوة على الأخريات.

الغلبة في الجلسة كانت لمن تمتلك القدرة المتواصلة على الحديث، وتحييد كل من تقاطعها، بل إسكاتها بصوت القوة، وحتى لو اظطرت في سبيل ذلك أن تسيء لمن تريد مقاطعتها.

وما زلت مستمعاً لحديث زوجتي التي أنهته لي قائلة: انتهت الجمعة الأسبوعية مع من كن صديقاتي، ومع اعتذارهنّ لبعضهن ومحاولات التبرير وتبديد الخلاف، إلا أن اجتماعنا انتهى بما أظنه سيكون قطيعة.....!

وجه الزوج سؤالاً لزوجته: وما دخلي أنا بما جرى لك؟....، حينها أجابته بشكلٍ قاطع بأنه السبب، فلولا استصغاره الدائم لفكرها، وتحقيره لما يسميه جهلها، ومحاولة إظهارها أمامه بالجاهلة سياسياً، والسطحية فكرياً، لما اضطرت أن تحاول أن تثبت له العكس، عبر ابتداع محور جديد للنقاشات النسوية، تتغير فيها أحاديثهم من شؤون نسويةٍ ممتعة لذكوريةٍ لا تتواءم مع دردشات أنثوية!

انتهت الرواية، لكن العبرة منها، أن لكل جنسٍ فكره، ولا داعي أن يفرض أحدهما على الآخر رأياً، فلكلٍ مشتهاه، ولا حصرية لشأن جنسٍ على الآخر، بل الأساس استقلال الشخصية، فالزوجة حرةٌ بما تعتنقه، ولا يمكن أن يفرض عليها فكر زوجها، كما أن السياسة ليست حكراً على الرجل، بل هي ممارسة للأقدر والأكفأ، سواءً أكانت امرأة أو رجلاً.

لننجتمع سويةً في غرفةٍ مغلقة، محدقين لبعضنا ونحن جالسين على كراسٍ لا زوايا لطاولتها الدائرية، حتى لا يستنكر أحدنا موضع الآخر الذي قد يوحي له أنه صاحب المقام والطليعة.

لنناقش سبب اختلافنا، ولنعمل معاً على حل مشاكلنا، ولنتعلم كيف نلتمس العذر لبعضنا، ولننبذ من عقولنا أفكار الكمال ونرجسية النفس.

لنكن واقعيين ونراجع الآن آلاف السنين من العيش المشترك، علنا نتفق في ما بيننا على نقاط تنافرنا وتجاذبنا، ونجتهد لأن يكون التلاقي سبب البقاء سويةً لا الابتعاد والنفور.

الحب ليس السبيل الأوحد كي نحيا معيشة هنية، ولا هو الغاية التي نتواجد بسببها، ويتحد الذكر بها روحاً وجسداً مع أنثاه، وإنما هو سيلة تسهم في التقارب والتواؤم والتلاقي، وغذاء غني للروح يسعد بتتويجه الجسد، وفيه يتلاقى كائنان مختلفان تحت مظلته، فيتعلق أحدهما بالآخر، ويشعر أن لا معنى لحياته بدونه!

سلسلة تكونه، إن استمر، تتوج بالعشرة، والتي بدورها تؤدي إلى المودة لتنتهي بالرحمة، حيث سمو المشاعر وتكاملها في النفس البشرية.

لا صحة لمن يدعي أن الوصول حينها للرحمة هو القشة التي ستنهي تلك القصة من الهوى، ولا داعٍ لأن يتذمر أحدهما أن حياته مع شريكه قد أصبحت لائحة فقط على الرغبة بالاستمرارية

حرصاً على بقاء أي عوامل إنسـانية أخرى نتجت عـن ارتباطهما، أو مجتمعية تهددهم بسـوط العادات والتقاليد ومكانـة العائلة في بيئتها، وخرافات أخرى لا داعي لذكرها.

لكن المعادلة ليسـت بتلك البسـاطة، التي إن كانت هي الواقع، سـنرجع حينهـا للنهايات السـعيدة، التـي لن نكـون في نهايتهـا دوماً سعداء، بل ربما تعساء مللنا من كوننا لا نشقى.

غريـبٌ حالنـا نحن البشـر، يسـعى الرجل كـي يحظـى بالأنثى، وتسـعى المرأة كي تكتمـل بالذكـر، لكننا دائمـو الاختـلاف والتذمر والشكوى من بعضنا.

لا نمـل أن نعيـد التجربـة ونكررها إن لـم نتفق، علـى أمل أن يكـون التالـي أجمل مـن السـابق، الـذي إن فشـلنا فيـه مجـدداً، لا نتوانى على أن نعيد الكرة حتى نفوز بالسعادة، التي إن حصلنا عليها تذمرنا وصرخنا لمعاناتنا من شـريكنا الذي إن ابتعدنا عنه فترة، لكننا وبطبعنا الآدمي سـريعو النسـيان، فاشـتقنا له وبحثنا عنه وطلبنا وده، الذي إن نلنـاه؛ إما ركناه جانباً وسـعينا لغيـره، أو اعتبرنـا بقاءنا معه تحصيل حاصل ونهاية سعيدة لمسيرة حياتنا على هذه الأرض.

التقلب فـي المشـاعر هو الأسـاس للديمومـة، وما عـدى ذلك أوهام هي من تفسد اكتمال المسيرة!

من هنا يبدأ الخلاف ويدب الشقاق، فمجرد تحديد أو تخصيص صفة لطرف على حساب آخر، نكون قد غرزنا بذرة الخلاف بين الجنسين، وتركنا مجالاً للتشنج والمحاصصة، ووقوف كل فرد مع حزبه حتى لو كان على غير صواب، فبالنهاية هم إما نساء أو رجال، ولن يتوانى أيٌ منهم عن الوقوف إلى جانب جنسه أياً كانت صحته.

القول الصحيح إن رغبنا بالمقارنة: هو بما يتميز أحدهما عن الآخر؟ على أن يكون الطرح من دون إنقاصٍ من شأن أيٍ منهما، فالأصل التكافؤ والمساواة، كما ان لا فرق لأحدهما على الآخر إلا بما فضله الله عز وجل به.

المرأة عامةً تتميز بنظرتها إلى روح المقابل، ومنه تكون البداية إلى حبه إن اقتنعت به، وهذا ما يفسر أن ترى رجلاً دميم الخلقة بصحبة فاتنه. لم تره كما فعل الآخرون، بل اطمأنت إلى جوهره، فاقتنعت به وأحبته.

الرجل إن اكتفى بالروح فستشبعه امرأة واحدة، أما إن كان جل اهتمامه الوجه، فخذوها مني: لن تكفيه نساء الأرض، فكل واحدة منهن أجمل من السابقة، وما في التالية يزيده نهماً لرؤية أخرى أجمل.

الرجل عقلاني ويتصرف على مهل، فيما يحكم عقله أكثر، ويتدارس العواقب، وحتى إن كان يعلم خطأ ما يفعل. تنحيته

لعاطفته في الأغلب، تضفي على قراراته الحكمه، وتنفي عنها التسرع والاغترار بالمظاهر، والانسياق للقلب والمشاعر الظاهرة.

الأنثى تسيرها العاطفة، وهو ما يمنحها صفة الحنان والود، متناسباً مع تركيبتها وجنسها، ويضفي عليها رقة ونعومة، تعد هي المكمل لخشونة الرجل وصلابته، وغلظة طباعه وجفاف تصرفاته.

اجتماع النقيضين هو ما يمنح العلاقه بين رجل وامرأة رونقها، فلو كان كلاهما بنفس الطباع والسمات وطريقة التفكير، سيكون استمرارهما في الحياة روتينياً مملاًّ، فالمشاكل والاختلاف هما من يجمعان النقيضين، بل من يبعثان في حياتهما سويةً روح الوئام.

من ناحية طبية، قلب المرأة ينبض أسرع من الرجل بمعدل عشر ضربات زيادة في الدقيقة الواحدة، كما أن سمعها ونظام مناعتها أقوى.

تتمتع بذاكرة قوية، وهو ما يفسر إلمامها بتفاصيل دقيقة وأحداث قديمة ومتنوعة، قد يظن الرجل لو رددتها عليه المرأة، أنها بدرت من شخصٍ آخر عداه، فيما تذكرها «هي» بحذافيرها. تسردها بكل ثقة وبتسلسل يعجز عنه عتاة الأدباء حين كتابتهم لرواية أدبية، فيما المرأة قادرة وبكل إبداع أن تروي لك تصرفاً بدر منك لم تشعر وقتها أنه قد يلفت انتباهها، وإذا به يخرج بعد سنين من جوفها، ليظهر لك امتعاظها أو سعادتها به!

لا تفوق لأي من الجنسين على الآخر ولا أفضلية، فكلاهما مكملان لبعضهما، وما يظن أنه ضعفٌ في أحدهما أو لين جانب، قد يكون السر والدعامة لاستمرار العلاقة بينهما وازدهارها وتكاملها.

رغم كون الاثنين بشراً يتشاركا الصفات الإنسانية، إلا أنهما إن اجتمعا معاً في بيتٍ واحد، يظهر لهما حينها الفروقات في الطباع والتصرفات وطريقة التعامل والتفكير. بل إن الاختلاف إن لم يفهم بينهما ضمن الإطار الصحيح، سيحدث ما لا يمكن علاجه من المشاكل.

بفهم شخصي وبعيداً عن التنظير عليكم بواقع قد لا أجد نفسي فيه باحثاً أو ذا اختصاص، لنحاول سويةً فهم بعض من السمات السيكيولوجية للرجل والمرأة في حال زواجهما، ومدى تطابق ما حلما به وتوقعاه لنمط الحياة المشتركة.

المرأة تتمتع بقيم تختلف في تفسيرها عن الرجل، وحتى إن كانت جميعها صفات إنسانية جبل بها الجميع، إلا أن التصرف بها وحيالها يختلف بشكل جوهري من كلا الشريكين.

ترى «هي» أن أساسيات العلاقة الناجحة تتوفر بوجود الحب والمشاركة والدعم والتواصل المستمر، والذي لا ينقطع أو يصاب بالفتور. يسعدها تبرع زوجها بتقديم المساعدة لها، بل يشعرها أنها تحت مظلته وحمايته، وحتى لو كانت في غير حاجةٍ لها؛ لكنه ذاك الإحساس الأنثوي بالنسبة لها الذي يسعى دوماً لأن يشعرها أن هناك من هو مستعد للتضحية في سبيلها ورعايتها.

الرجل يطمح بأن يحظى بعلاقة يشعر فيها بالمقدرة والاستطاعة؛ وبها يمتلك زمام الأمر والمبادرة؛ في مشاهد هي

تجسـيد لما حلم بـه سـابقاً وتمناه لنفسـه، قـد لا تتحقق حسـب ما خطط، وقد يحتاج بها للمسـاعدة مـن طرف الزوجة، لكنـه وبغروره الذكـوري، وكبريائـه لن يسـعى لهـا إلا إن بـادرت هـي بتقديمها له من دون أن يطلبها منهـا، فالزوجة النبيهة قادرةٌ بغريزتها أن تستشـعر اللحظات التي يحتاج فيها للعون، مـن دون أن يبدي ذلك، أو يطلبه منها بشكل مباشر.

المسـاعدة بدون طلب بالنسـبة للزوجة هو تعبيرٌ عن الحب من جانب الزوج؛ في حين يـرى «هو» فيها ضعفاً يجعلـه غير قادر على طلبها مباشـرةً منها، وإنما سيسـره أكثر إن بادرت «هي» بها من دون أن يطلبها منها أو تشعره بأنها قدمتها له.

كمحصلة، يتحقـق الدعم المطلـوب، لكن شـكله وطريقة طلبه مختلف، حيـث يراعـى بـه العاطفـة والأحاسـيس للمـرأه، والكبرياء «والأنا» للرجل.

لكلا الشريكين نظرتهما لشـكل العلاقة، والتي سترسم ملامحها احتياجاتهمـا الشـخصية، التـي برغـم كونهـا مشـتركة، إلا أن سـلم الاولويات بها مختلف.

بالنسـبة للمرأة تضفي عنايـة الرجل بهـا وتوفيـر متطلباتها الأثر الحسن بداخلها، كما يشعرها تصرفه بنبل بمقدار قيمتها لديه، ورغبته في إسعادها.

قد ترى في تصرفات بسـيطة - لا يوليها بعض الرجال اهتماماً - معانـي نبيلـة، كأن يمسـك بيدهـا مثلاً عنـد نزولهـا من السـيارة، أو مشـيها على ممر غيـر متسـاوي، أو أن يظهر على وجهه سـمات الخوف عليها والحـرص عند تعرضها لحدثٍ مفاجـيء قد ينتج أذىً لها.

بالنسبة «له»، إن استشعر ثقتها به وأدرك مدى تقديرها لجهوده المتفانية لإسعادها، فسيرضي ذلك إحساس الراعي في داخله، رب المنزل الذي يفني نفسه في سبيل إسعاد من حوله، والذين يرونه بدورهم بطلهم الذي لا يكل حباً ووفاءً لهم؛ وهو ما سيرضيه، بل سيغمره الشعور بأن كل ما يقوم به محل تقديرهم وامتنانهم.

في حواراتهم اليومية، تسعى الزوجة لأن يتصرف الزوج بتفهم؛ فليس كل ما تحدثه عنه تحتاج فيه لرأيه، كما أنه يضايقها حكمه على ما تقوله له سواءً أكان صواباً أو خطأ، سيريحها أكثر أن يكون متقبلاً لاختلافه معها من دون أن يشاطرها وجهة النظر.

بالنسبة له يرى الحوار المباشر ضرباً من طلب النصيحة، والسعي وراء خبرته في الحياة، أو قد يكون وسيلةً سريعة لإنهاء الموضوع، أو رغبةً منه في أن يشعرها أنه منصتٌ باهتمام لما تقوله.

يسعى بدوره للخلاصة من «الدردشة»، فيما هي تبدي حرصاً في سرد أدق التفاصيل، التي كم سيسعدها إن شاطرها ذلك، لكنه مهتم بما يسميه «الزبدة»، ويزيده مللاً حماسها في الإسهاب، فيما تتمنى منه أن يشعرها برغبته أن يسمع منها أكثر وأكثر.

التفاني مطلب مشترك لكليهما، لكن شكله وطريقة القيام به مختلفة، ففي حين يراه الرجل بذل كل مايستطيع في حياته لتوفير سبل رفاهية الحياة لأسرته، تراه الزوجة أكثر شخصنة، وتربطه بمدى إخلاص الزوج لها، وسعيه أن يكون لها وحدها من دون سواها، ومن دون مشاركة من أمرأه أخرى، فمشاعر التملك لديها هي القاعدة لارتباطها، وفطرتها الأنثوية تأبى أن تتقبل أي واقعٍ تتناصف فيه زوجها، معنى القصيد لها أن تجد نفسها على لائحة أولوياته طيلة الوقت وبلا أي منازع.

يـرى الرجـل فـي نفسـه «دونجـوان زوجتـه»، فهـو مقتنـع بأن واجبهـا تجاهه أن تتقبلـه كما هو، بـكل عيوبه وعلاته، بنفس شـكله ومظهره، كما يؤذيه أن يشـعر في لحظة أنه محل مقارنة منها مع أي رجلٍ آخر، وقتها ردة فعله لن تكون فقط متهيجة وشـديدة، بل ربما سـتؤدي إلى شـرخ في العلاقة، وإحسـاس دائم تجاه كل تصرف أو قولٍ لها، يشعر فيه أنها تسـتصغره، وتقلل من قيمته، وهو ما يعد في عرفه مساً بمسلمات رجولته وجرحاً لها لا يبرأ، بل قد يتفاقم وينتج عنه ما لا تحمد عواقبه.

استشـعاره بتقديرها له، وقبولها لهيئته وتصرفاته ضمن المقبول، يضفي على ثقته بنفسه إحساساً ذكورياً بعظمته ورفعة شأنه، فما يهمه في المقام الأول هـو أن يتأكد مـن أن هويته كرجل محـل إعجابها، ومصدر فخرٍ لها وسعادة، تتباهى به أمام أسرتها وصديقاتها.

أحـد أسـوأ الأخطـاء التـي يمكـن أن يقـع بهـا الرجـل، وهـي شـائعة، تتمثـل باسـتهتاره بمشـاعرها، ومـا يصيبهـا مـن نوبـات قلق وحزن واكتئاب، ناتجة عن أمور يظن «هو» أنها سـخيفة ولا تستحق حتـى أن يُنظر إليهـا، فيما تراهـا «هي» مصيريـة، ومصدر حـزنٍ لها، حين تحادثـه عنهـا، تنتظر منه دعمـاً يشـعرها بأنه يقف إلـى جانبها، ويتفهمها. لا يحاول فقط فيها أن ينظرإليها بحلولٍ ليسـت في حاجةٍ لها، كما سـتصدمها ردات فعله الساخرة، والمستسـخفة لما قالته له، وقـد ينفرها منـه إن علمـت أنه قـد أفضى بمـا أخبرته لأي شـخصٍ آخـر، سـتعدها خيانـةً منه لهـا، وإفشـاءً لأسـرارٍ قـد لا يراها سـوى وسـاوس أو أفكار ثانوية لا قيمة لها ولا شأن يستحق حتى أن تفكر به.

طمأنته المسـتمرة لها بأنها الأولـى والأخيـرة، المحظية التي لا

يطيق العيش بدونها، مطلب قد لا تبديه، لكنه مصيريٌ بالنسبة لها، وتتمنى سماعه منه كل يوم، في المناسبات السارة، وفي لحظات الوئام، حتى عقب الصلح من خصام أو سوء تفاهم بينهما، سيبني جسور الثقة مجدداً إن ردد على مسامعها عبارات الهيام بها، وعدم تخيل نفسه لحظةً بدونها، فوصالها والعيش معها أسمى أمانيه حتى لو اختلفا وتخاصما.

إثباته لتعلقه بها لا يقتصر فقط على هدايا يقدمها لها، أو أي أفعال أخرى، بل القول المتكرر أيضاً، وحتى لو ظن أن تكرار قوله إسفاف أو نفاق زوجي، لكنه بالنسبة لها تطمينٌ لها بأنها ما زالت بالنسبة إليه حبيته وعشيقته وصديقته ورفيقة دربه وأم أبنائه.

يضع دوماً أمام عينيه واقع أنه الرجل، وصاحب الرأي والقرار، والمتصرف المدبر لشؤون أسرته، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة، يؤذيه أن يرى منها عصياناً له، أو مناقشة لكل صغيرة وكبيرة، كما يحبطه إشعارها له بأن القرارت يجب أن تمرعليها قبل اتخاذها، قد لا يجد مانعاً في أخذ رأيها، لكنه يغضب في حال رفضها لآرائه وتمسكها بفكرها واستحقارها لما يراه.

يتوقع منها أن تكون داعمة لا مشككة، فيما إن فعلت، كسبت وده وشجعته على أن تكون مستشاره المفضل في كل قراراته وشؤون حياته.

يتمنى منها حال عودته لمنزله أن تدعمه قولاً وفعلاً، وتعيد شحن معنوياته، تشعره بأنه الآن في حصنه المنيع، ومبهجته التي تبذل في سبيل إسعاده كل مقوماتها الأنثوية، تزيح عن كاهله هموم يومه وأشجانها، وترفه عنه بحبها وعاطفتها، في أفعالٍ متكررة طيلة الوقت، تسعى بها لكي ترسم الأمل والابتسامة والغبطة والسعادة على محياه.

لأننا نرجسيون نحاول أن نظهر دائماً بالمثالية واحترام الآخر وتقديره، طبعاً هذا أمام الملأ والآخرين. أما في حياتنا الخاصة، فنحن مختلفون، بل قد نكون النقيض لما ندعيه.

أحد أهم نقاط تناقضنا تظهر حين يتكلم الرجل عن المرأة والعكس، تَجْمُل الكلمات، وتظهر المشاعر الكذابة المصطنعة، لنعطي انطباعا للمتلقي أننا ملائكة تلبس ثياب البشر، فيما الواقع يشير الى النقيض تماماً.

كذبنا على أنفسنا وعلى الآخرين أَخَّرَنا وزاد من رجعيتنا، حتى أصبحت العلاقات الزوجية تصطدم بواقع مختلف عما كان يظنه طرفاها قبل الزواج.

بات من الشائع أن تكون صورة ما يعرفه الرجل عن المرأة لا تتعدى ما جرت العادة على وصفها به؛ فهي «كما يقولون» رومانسية وعاطفية وحساسة.... ولكن هل تسهم هذه المعرفة بأي شكل في استقرار العلاقة؟

في فترة الخطبة وبداية الإرتباط، قد يتذرع بها أحد الطرفين لينال ود الآخر، ولكن ما إن يجمعهما منزل، حتى تبدأ الحقائق تتكشف، وتظهر الاحتياجات الفعلية على حقيقتها!

مع مرور الأيام تتحلى مشاعر الحب بصفة المودة والرحمة، التي يعززها التفاهم المشترك والوئام، والذي يؤدي له أساسيات في العلاقة يجب أن تكون قد ترسخت بين الزوجين، ربما من

دون اتفاقٍ معلن بينهما، ولكنها الدافع لبقائهما سويةً، والسبيل كي يتغاضى أحدهما عن أخطاء الآخر ويتجاوز عن زلاته.

إن أتقن الزوج فن الإستماع وأعطى الزوجة انطباعاً يوحي لها بالاهتمام بما تقوله له؛ يكون حينها قد وفر لها السكينة والطمأنينة، أو بمعنى أوضح الحصالة التي ستفرغ بها ما يشغل بالها، وهي تعلم أن ما جادت به نفسها له في مكانٍ آمن ولن يخرج لأيٍ كان.

التنظير في هذا الموضوع سهل، لكن الصعوبة الحقيقية للرجل تكمن في تطبيقه، والسبب أن الأغلبية العظمى منهم -وإن لم يعلنها صراحةً- يرى فيها القيل والقال والسخافة والسطحية، كما أنها كمواضيع لا تدخل إلى لائحة ما يوليه انتباهه.

بناءً على هذا النظرة الدونية تجاه حوارات الأنثى، غالباً ما يصدمها بلامبالاته تجاه حديثها معه، أو يوهمها بتمثيلٍ مكشوف بإصغائه لها، في حين تراه شارداً ولا يعي أو يتذكر حقاً ما قالت له.

فن الإنصات لفضفضة الزوجة هبة لا يتقنها الكثيرون، ولا يحاولون حتى تعلمها. فهو من وجهة نظرهم نزول من الأعلى للأدنى، أو كما يعدونه تنازل عن فكرٍ جاد في مقابل الإنصات لحوارات نسائية سقيمة ومملة، تتكرر كل يوم بطريقةٍ أو بأخرى.

شيطنة الرجل ووسمه بعديم المشاعر خطأ آخر ترتكبه الزوجة مهما نصحت بتركه. فهي لا تستطيع أن تستوعب أن خلقتها وتفكيرها واهتماماتها كأنثى تختلف عن الرجل، وبالتالي يتوجب عليها أن تكتسب منه لا أن تفرض عليه الإصغاء.

بداخلها تعلم ما قد يستثير انتباهه وما قد يصيبه بالملل والكآبة، كما أنه وحتى إن قيل له فلن يقدم فيه أو يؤخر.

هذا لا يمنع أبداً من أن يعترف الزوج أن عليه واجباً تجاه

حديث زوجته معه، وعليه فيه أن يكون أكثر إنسانيةً ومراعاة لمشاعرها وتقبلاً للاختلاف في الاهتمامات أو ما قد يشغل البال ويحير الخاطر.

إن استطاع ذلك، فعلى ما أعتقد أنه سيكون قد نال ما تسميه هي في داخلها بالصدر الحاني، الذي لا يؤلي وقتاً أو يمنعه عنها حين حاجتها إليه.

الزوجة النبيهة هي من تختار الوقت المناسب للحديث، وتقيِّم استعداد زوجها وظروفه قبل أن تبدأ، فمن الغباء مثلاً أن تطلب إليه الخروج في حين تراه يعاني من آلام شديدة في الظهر، إما أن يكون الحديث مجرد دردشات زوجية، فلا مانع من أن تعيد شحن الزوج قبل أن تبدأ الحوار معه بالحديث الحاني وبالأفعال والأقوال التي تهيئ لها البداية معه.

الزواج

طرفا المعادلة في الزواج نقيضان كلياً، لكنهما وفي نفس الوقت سر خصوصيته.... حيث الحياة تبدأ في صراعٍ أزلي للتأقلم وتقبل الآخر....! وفيه يحيا معك من قد يكون النقيضَ الكامل لك، لكنك وعلى خلاف العادة تبحث فيه ومعه كل السبل والطرق للتوأمة، وتسعى لتكون أسرة، فتكّون نقطة تجاور فيها آخر وأخرى، وتستمر الحالة حتى يكون لنا شعوب وقبائل وأمم.

من باب التأمل؛ كثيراً ما تطاردني الأفكار حوله، محاولاً إدراك غرابة وروعة هذا الرباط المقدس؛ الذي إن لم تجربه.... تشتاق له، وإن تمكنت منه...... تذمرت منه أحياناً، وشعرت وكأنه طوقٌ حديدي يطوق رقبتك، أو قفص ذهبي (كما يسموه) أو حتى ماسي، لكنه في النهايه يبقى قفصاً!

حتى لا يساء فهمي، فهو مانع لك ولها من التجاوز والخطأ، ولذا جاءت التسمية، فهو كالقلعة تحصنك مما يكون خارج أسوارها، لكن على النقيض للبعض، هو زنزانة مشتركة تمنعك من اللذة وتحرمك من نزواتك وشهواتك.

لا تحاول كرجل أن تفهم سيكيولوجية المرأة أو أن تعبث بها، فحتى لو استطعت «وذبحت قطة ليلة الدخلة»، فهذا لن يعني أنك انتصرت ورسمت مسار حياتك الزوجية.. فسرعان ما ستتغير الأحوال ويكسر حاجز الخوف، ولا استبعد أن تكون أنت القطة هذه المرّة، فالزوجة النبيهة وبذكائها الفطري وبعزيمتها الجبارة قادرة على سبر

أغوار زوجها ومعرفة نقاط القوة والضعف، وستعرف بعد فترة من أين ستؤكل الكتف، وستقدر بعبقريتها الأنثوية (إن أرادت) وبصبرها وجلدها أن تروضك حتى لو كنت الحجاج بن يوسف الثقفي!

المرأة مخلوق معقد ومتشابك التركيب، لن تستطع كذكر في يومٍ أن تفهمه وتدرك آلية عمل دماغها!... فما يكئبك قد يكون مصدر تحفيزٍ لها، وما يسعدك سبب تعاسةٍ لها، وربما يكون ما يضايقك سر تسليتها، وما يؤرقك مبعثاً لراحة البال لديها. هي كائنٌ إن أردت اكتساب وده، عليك أن تأخذه كما هو، فقد يكون تقويمها كسرٌ لها! وراحة البال معها ليس بالضرورة أن تكون كمارد الإبريق قائلاً «شبيك لبيك»، فحتى لو غزلت لها من نور الشمس سواراً وقدمت لها اللؤلؤ والمرجان... فلن تكون «ابن عمي ولا سي السيد»، ولن يستقبلك «طشت» أو وعاء الماء الحار عند عودتك للمنزل واسترخائك على الأريكة!

ولدنا وتربينا على ثقافة يرددها الكثير ويستند بها، لسوء تفسيره، لقول المصطفى الكريم «النساء ناقصات عقلٍ ودين»، فغاب عن من يردد القول أن يعلم أن في الحديث حكمة ولا يمكن اجتزاء القول من دون فهم المعنى، المقصود بنقص الدين فيه هو ترك المرأة لممارسة الشعائر كالصلاة والصيام والعبادات في أوقات دورتها، وهو رخصةً لها من الله عز وجل، أما في ما يتعلق بالعقل فذاك مرده إلى أن شهادة امرأتين تعادل شهادة رجلٍ واحد.

كما أشار الرسول الكريم عليه صلاة الله وسلامه في الحديث بما معناه مقدرة المرأة لأن تغلب ذا اللب (وهو الرجل الذكي)، لذا وببساطة هذا يعني ذكاءها الذي قد يفوق مثيله لدى الرجل وقدرتها بشهادة حبيبنا محمد.

من أكثر ما استغرب هو أن يتندر بعضهم بالمرأة مستشهداً قول المصطفى ليثبت أن رجاحة العقل تخصص ذكوري بحت، فيما أظن أن من تبدر منه هو ناقص الفهم مسيء.

قبل فترةٍ استرعى اهتمامي فيلم شاهدته من صنع «العزيزة مصر» تطرق مخرجه فيه للعنوسة كمشكلة مؤرقة للمجتمع في ظل إحصائياتٍ تتحدث عن ما لايقل عن خمسة ملايين سيدة غير متزوجة، لقبوها بالعانس (رغم تحفظي على اللفظ)، الذي أصبح في مجتمعاتنا العربية يوصف كتهمة أو إهانة للمرأة وفيه انتقاصٌ من شأنها، ومرد تفسيري نابعٌ بمقارنة الوصف بالرجل، وهل يطلق عليه أيضاً، أو أن ما جرت العادة أن يعيبه «هو جيبه» كما يقولون.

باختصار سرد الفيلم واقعاً مؤسفا نعيشه كعرب وتعودنا فيه القول «هم البنات للممات» تغافلنا وأهملنا أننا لو منحناهن حقوقهن بما يرضي الله سبحانه وتعالى ويتماشى مع شرعه، لما اضطرت الأم أن تحضر الأفراح برفقة بناتها حتى يعرفن، وتسنح الفرصة للباحثات عن العرايس رؤيتهن!

الغريب في علاقة الرجل مع المرأة ضمن إطار الزواج، أنها غالباً ما تفسر كحربٍ طويلةٍ من الكر والفر ولكن من دون إراقة دماء ودونما فقد أحد الطرفين للآخر، فالغاية هي النصر، والذي يعني القيادة، وبشكلٍ بسيط.. من يملك زمام القرار!.

نرجسية الرجل وثقافتنا أصَّلت القناعة، فيما روح التملك عند المرأة والحظوة قد تكون دافعاً، وفي المنتصف بينهما تواجد الآراء الأخرى المتمثلة بنصائح الأهل والأصدقاء والجارة وزميلات أو زملاء العمل.

يظن الرجل الزواج قبل حدوثه راحة في الغرفة والمنزل، وأبناء

من الذكور هم له عزوةٌ وسـندٌ عند كبره.. أما المرأة فهي رومانسـيةٌ بطبعها، ومفهومها مختلفٌ عنا وأكثر حساسـيةً وتقلبـاً وخصوصاً في دورتهـا الشـهرية وفي أثنـاء فتـرة الحمل وفـي منتصـف الثلاثينيات، حيث تعاني من تغيراتٍ هرمونيةٍ غير مفهومةٍ تقلب مزاجها، ولا تعلم حينها أن ما قـد يبدر منـك كنكتة، قد تأخـذه «هي» بمحمـل الجد، خصوصـاً إن خصت ملاحظاتك شـكلها وقوامها، فسـرعان ما يسـاء قولـك وتتحول اللحظـة إلى جحيـم، ولن تفلـح ضحكاتـك المعبرة لتلطيف الأجـواء ولا حتـى أيمانـك.. فما بدر منك سيسـاء تفسـيره في كل الأحوال، وسـتظن الزوجة أنـك مللت منها أو لـم تعد كافيةً لإثارتك وخصوصاً أن سـمعة الرجـل المتزوج بصفة عامـة أن «عينه زائغة أو بصباص». هذا يعنـي أنه ملول ويحب التغييـر..... وبالرغم من التحفظ على هذا الشـعور الظالم، إلا أن فيه جـزءاً من الحقيقة. فالرجل كمخلوق ذكري غالباً ما يظن نفسـه دونجوان ومرغوباً، حتى لو كان له «كرش مترين»، وشـعره أبيض ولا يقـوى على حمل جرة غاز، إلا أنه وفـق هرموناته الذكوريـة، مقتنع بأنه فرصـة لكل من لا تملكه لاكتسابه كفرصة لا تعوض.

يتندر بعض الرجـال فيما ينصح آخـرون المقبلين علـى الزواج بالبحث عن الزوجة في الأماكن النائية، حيث لا «دش» ولا تلفزيون ولا مسلسلات تركية ولا مولات وأسـواق، وإنما فتاة «كما يسمونها خـام» لا تعرف مـن الدنيـا إلا إرضـاء من سـيكون زوجهـا وخدمته والإنجاب لـه والعيش تحت ظله ووفق شـورته.......فلبنه أسـود إن شاء وتمره أخضر، وهي مصدقة له وموافقة.

لكن من سبق من «الحكماء»، نسوا أن المرأة المخلوق الأسرع تغيراً والأقـدر على تطوير نفسـها ومجـاراة الواقـع، وقصص الأفلام

وحكايات جدي وجدتك لم تعد قابلة للتطبيق في عصرنا هذا، الذي أعاد لها حقوقاً كفلها لها المولى سبحانه وتعالى وأعلى من شأنها الذي شوهه الرجل على مدار التاريخ.

إذاً بالرغم من كل هذه التناقضات في الشخصية والتفكير والخلقة، كيف لا يستغني أي الطرفين عن الآخر، وكيف يبحث عنه دوماً، وكيف يتحمل كلٌ منهما هذرات الآخر وسوءه ويرى من الحسن فيه ما قد يظنه بعضهم قبحاً ومنفراً..؟، من هنا تكمن العظمة الإلهية، حين وفقت بين النقيضين وجعلت كلاً منهما مكملاً أساساً للآخر، وسهلت التأقلم والتعلق والمودة والرحمة، التي ذكرت في القرآن الكريم، ويكون منها أن يغفر طرفٌ للآخر ويتعلق به ويحبه بالرغم من ما يعتريه أياً كانت ظروفه، وطبعاً لكل قاعدةٍ شواذ، لكني لا أتحدث عنهم هنا.

جزء مهم من تصرفات المرأة يتحكم به هرموناتها الأنثوية، التي تبدأ معها منذ تخلقها، فتختلف إفرازاتها حسب المرحلة العمرية والحالة الجسدية والاجتماعية، هذا كلام مثبت علمياً لا خلاف عليه وتختلف فيه الأنثى عن الذكر، وإن كانت تغلب عليهم بعض الصفات المشتركة من التغير في مراحل بعينها، إلا أن خصوصية تكوين جسد المرأة تلعب عاملا محوريا ًفي تقلباتها التي نشاهدها بها، ونعجز كرجال عن تقبلها بأريحية، على الرغم من أننا نعلم ما تمر به من ظروف جسدية تتحكم بمزاجها العام وبتصرفاتها، إلاأننا وبالمقابل إن لم نضق ذرعاً، نتندر بما تمر به من دون أن نخفي واقع أننا في قمة الغيظ من تصرفاتها، ويدور في خلدنا سؤال متكرر: لم لا تحاول حتى أن تتمالك نفسها وهي تعلم حجم الإزعاج الذي تسببه لزوجها؟ ترد الزوجة أن ما يعتريها من تقلب

في المزاج خارج عن إرادتها ولا تملك للتحكم به سبيلاً .

النقاش في هذه النقطة بالذات بيزنطي عقيم، ولن نصل به لنتيجة ابداً، ولن يقدر طرف على تغيير الآخر حتى لو امتلك حكمة لقمان وصبر أيوب عليهما السلام.

الحل إذاً هو، في الواقع، اللاحل، فلا أنا ولا أعتى الباحثين قادر على منح الرجل أو المرأة وصفة سحرية تجعل من العيش المشترك بينهم كبيئة يوتوبيا أو المدينة الفاضلة.

هي «أي الأنثى» تتمتع بقدرٍ لا محدود على ما نسميه بالعامية «الزن» أو القدرة على التكرار والاستمرار في الطلب حتى تحقق مطالبها، يقابلها مخزون قابل لأن ينضب لدى الرجل من التجاهل أو «التطنيش»، يستخدمه كسلاح للصد، لكنه ما يلبث أن يكتشف أن ذخيرة سلاحه سرعان ما تنضب أمام صلابة موقفها وإصرارها الذي يعتمد نمطه على درجة ذكاء أنثى وعزيمتها وقوة حجتها والمقدرة بالطبع على استمالة الزوج وإقناعه بالمنطق والحجة، أو بالدموع ونظرات الأسى والانكسار، أو بالوحشية المفرطة والنكد وإظهار الوجه الخشن لها، والذي تعلم هي ويعلم هو مدى نجاعته في أن يفتت إرادة الزوج الباحث عن السكينة والهدوء في منزله ولدى عودته له بعد نهارٍ طويل ومرهق قضاه في تحمل عملائه ومدرائه وتلبية متطلبات وظيفته.

الرجل والمرأة مزيج من المتناقضات التي لا يمكن نجاحها لو كان في أمرٍ آخر سوى الزواج. لذا سيبقى تناقضهم واختلافهم سر تجمعهم وتجاذبهم.

الـزواج مؤسسـة اجتماعية عريقـة وقيمتهـا تكمن بأنهـا الأقدم، فنشأتها منذ الخليقة ومنذ أن خلق الله سبحانه وتعالى أبونا آدم وأمنا حواء.

توحدت البشـرية تحـت مظلتـه، واسـتمدت منـه اسـتمراريتها، وامتزجـت بـه دمـاء الأعـراق والشـعوب، وحيكـت حولـه القصص والمغامـرات، واختلفـت فيـه الطبائـع والعـادات والتقاليـد. فيمـا استخدمته قبائل وشعوب لتوحيد صفوفها أو نيل حمايةٍ أو عزٍ وجاه.

لم يسـبق أن عاشـت أمة أو شـعب على هذه الأرض لم تعرفه أو لم تمارسـه، فهو الربـاط المقدس لجمـع رجل وامرأة فـي مكانٍ واحـد، وهـو السـبيل الأجـل لوجـود الذريـة، واسـتمرارية النسـب والأصـل، ارتبـط حدوثـه بالجنس البشـري، الذي انقسـم فيـه لذكرٍ وأنثى.

حتى الأمم التـي «مدنته» وأخرجتـه عن إطاره الديني، وسـعت أن تفصل عنـه مظلة الدين، اعترفـت به، وآمنت أنـه الرباط المقدس للجمع بين رجـلٍ وامرأة في إطـارٍ قانوني، وما ينتـج عنه من حقوق وواجبات وأبناء.

كان لرجل الدين الدور الحاسـم في إعلانه وجعله رسـمياً وما زال، ومـا الدعـوات المدنيـة إلا طريقـة ابتدعهـا بعضهـم لإخراجـه من مظلة الديـن لمظلة الدولة، والتـي قوننته عبر ما يسـمى «بالزواج المدنـي»، حيـث تكـون الشـعائر وفـق الديانـة وبِإشـرافها وبركاتهـا

وموافقتها، لكن الحقوق تحفظها الدولة، وتكون مسؤولةً عن الفصل في الخلافات والتقاضي، وما عُرف باتفاق ما قبل الزواج إلا وسيلة قانونية تم تشريعها للفصل بسهولة في حال انتفائه محدداً للأطراف ما لها وما عليها من دون الحاجة للاجتهاد في الحكم.

اختلفت لدينا كمسلمين الرؤيا، فكانت الشريعة الحكم الفصل في حال نقضه، وقد وفت وكفت إن طبقت وفق المنظور الشرعي من دون اجتزاءٍ أو انتقائية، فلا علة فيها وإنما مكمن الخلل في القوانين الوضعية التي تدعي الحفاظ على الحقوق، لكنها من أفسدتها.

في الإسلام للمرأة صداقٌ لها الحق فيه قدم أو أخر، كما لا يحق للرجل المتقدم لها أخذه منها من دون موافقتها أو حرمانها منه حال الطلاق، إلا إذا كان بالتراضي وبموافقة جميع الأطراف ووفق ما اتفق عليه سابقاً في عقد النكاح.

لاعتماده دينياً طقوسٌ خاصة تختلف حسب العقيدة، ذات روحانية ووقار، ويتوجب العمل بها وتطبيقها وفقاً لرؤية خاصة وإلا انتفى شرط حدوثه ومباركته دينياً، بعضها غريب ومستهجن وكفرٌ بواح من وجهة نظر المخالف لهم، لكنهم «أي الأتباع» يرونها الطريق للبركة والاعتراف، ويخطئون بدورهم المخالف لهم ويستهجنون ممارسته وعاداته فيه وتقاليده، التي يرونها بدورهم غريبةً عنهم.

الزواج هو سنةٌ كونية وحدة البشرية واتفقت جميعها عليه من دون تنسيقٍ مسبق أو تشاور، وعملت على استمراريته وفق منظورها، وهالته بشعائر وطقوس تميزه عن أية مناسبةٍ أخرى، وأقرت أنه الشريعه الكونية للجمع بين الرجل والمرأة، وسبيل الذرية التي لا غنى عنه ولا بديل له.

بشكلٍ نظري ولو دققنا في الأمر لوجدنا أن وسم المدنية للزواج وجعلها مختلفة عن الدين هو أمرٌ مغلوط، فالدين بفحواه مدني، لكنه رسم العلاقات الإنسانية وفق المفهوم الأجل والأسمى الذي يجب أن تكون عليه، ونبذ محاولات الخلط بين الحرية المطلقة والعرف الإنساني، الذي يجب أن يطبق ويكون ضمن مفاهيم مؤطرة له ومنظمة، يراعى فيها الكرامة البشرية واحترام الذات والخلق الحميد، ويبعد عنه الصفات التي تسيء لنا كبشر وتفسد أخلاقياتنا، كما أنه ينظم التواصل الاجتماعي ويقننه بما يكفل للجميع الحقوق والواجبات ويفصل بين الأطراف في حال النزاعات.

سواءً أكان الزواج والإرتباط مدنياً علمانياً أو وفق تعاليم الدين، سيبقى ما اعترفت به الخليقة وأقرته واتفقت عليه كأسمى طريقة وأشرفها ليجمع منزل بين كنفاته رجل وامرأة أياً كان عرقهما وانتماؤهما وخلفيتهما العرقية والثقافية والفكرية والدينية والأيديولوجية.

الزواج والعادات والتقاليد

العـادة هو مـا جـرى التصرف بـه لأمـرٍ ما وفـق مفهـوم معين ومرتبط بالحـدث، وكذلك التقاليـد، التي هي في الأسـاس تصرفات متكررة مرتبطة بوقائع بعينها، اتفـق عليها لا إرادياً لأن تكون ما يميز فئة ما أو شعباً.

بقدر ما اتفق الجميـع أياً كانت مشـاربهم على قدسـية الزواج، بقدر مـا اختلفـت عـادات وتقاليد وطبـاع البشـر فيه فـي كل أرجاء الأرض امتزج بعضـه بخليط من الخرافات والشـرائع، فيما تمسـك الآخربالطقوس الدينية فيه، وفًي قبائل أخـرى بالدموية وبلامعقول أو المقبول عُرفاً وأخلاقاً وديناً.

كل وفق رؤاه طبقه وتمسك به، وعمل على أن تتوارث الأجيال القادمـة المفاهيـم والممارسـة ذاتهـا، لكـن ومـع ذلـك، بـدأ يتخلله عادات جديدة مكتسـبة لم يكن الأجـداد ليقبلوها أو يعترفـوا بها لو كانوا أحياءً معاصرين لها.

في الدين الإسـلامي شُـبه الزواج بنصـف الدين، وحُـث عليه، وجُعـل منـه البـاب للعفـة والسـترة والإنجـاب وللعلاقـة الجسـدية والروحية والعاطفية بين الرجل والمرأة، وفيه أحل لهما فيه ما شاءوا عدى ما حرمه الشرع بنصٍ دينيٍ واضح.

الزواج هـو المكمـل لاختـلاف الجنس البشـري، وهو السـبيل لراحة الجسـد والدواء لغريزتهـا التي أوجدت فينا، لكن الله سـبحانه وتعالى فضلنا عن بقية مخلوقاته بأن قونَنَ لنا الممارسـة وحرم علينا

الخروج عليها، وحدد العقاب للمخالف، والثواب للمتبع المخلص.

لكنا كمسـلمين أولاً وثم كعرب، قد انحرفنا عن المنهج الحق، وأدخلنا علـى الزواج ما لـم يكن فيه، كمـا خلطنا بيـن تعاليم الدين وأوامره وعادات إنسـانية مسـتحدثة فـي ظاهرهـا مدنيـة، ولكنها في الواقع إحـدى أسـباب تدهـور مفهـوم الـزواج وانحرافه عـن منهجه السليم في الأساس.

لكلٍ من هـذا توابع قد نفسـرها لأسـبابٍ أخرى، ولكـن برأيي لو بقينا نطبق المفهوم السـامي للـزواج بخصوصيته لما انتشـرت في مجتمعاتنـا دواعي التغريب والانحـراف والضلال، ومـن ثم الدواعي المقابلة لها بالحريـة والخصوصية واحتـرام رغبة الفـرد وإرادته، وما بينهمـا من حمـلاتٍ ينـادي أتباعهـا بحرية الممارسـة مـن دون قيود وثواب وعقاب، وأخرى تحارب الأخيرة وتدعـو لتطبيق الزواج وفق الدين، لكلٍ منهم أتباعٌ ومؤيدون، لكن الأغلبية العامة قد ضاعت في المنتصف وتشتت بين هذا وذاك!

أتباع الديانات السماوية كالمسيحية واليهودية، كان لهم اختلاف جوهـري معنـا فـي تطبيقـه وفـق الشـعائر الدينية، ولكـن لدرجـةٍ ما مقاربين لنا في الحيلولة من دون أن تتخلّلـه التخاريف والخزعبلات التي أدخلتها عليه العقائد الوضعية البشـرية، التي أسسها بشر، وادعو فيها أنهم رسل أصحاب رسالةٍ سماوية.

في العـادات والتقاليد يتشـارك العـرب والمسـلمين بالرغم من اختلاف مشاربهم ديناً ونسباً العديد من التقاليد والأعراف المشتركة، كالمهر وطريقة إشـهار الزواج والاحتفال به، والشـكل الذي يظهر به أمام العامة، وأسلوب التقدم له وشروطه التي يجب أن تحترم.

تلعب العذريـة فيه شـرطاً أساسـياً لقبـول الطرفيـن، وإن كانت

العادة جرت أن تكون مطلباً في الأنثى، بانتفائه تكون الطامة والفضيحة وما يتبعها من تصرفاتٍ همجية ومخلة. فيما الدين قد وضع الشرط لكلا الطرفين، ووحد العقوبة كذلك، ولم يستثنِ الرجل منها أو يتغاضى عنه، فإن أخطأ فعقابه كالأنثى، وليس له الحق في ارتكاب الزنى وليس معذوراً، فالغريزة قاسمٌ مشتركٌ بين الطرفين، لا يُحل قيده لأيٍ منهما ولا تنتهك حرمته إلا وفق الإطار الشرعي لكليهما.

من هنا كان للعادات والتقاليد دور مسيء في تصرفات العديد، وإن كانت قد قلت، إلا أن بعضهم ما زال متمسكاً بها كإثباتٍ للآخرين على سلامة وشرف خياره، وما المحرمة أو المنديل الملطخ بدم العذرية إلا أحد الوسائل التي تمسك بها بعضهم، وأصر على أن تحدث، بالرغم من إمكانية انتفاء حدوثها لعددٍ من الأسباب يفترض الآن أن يعلمها الجميع بعد ازدياد درجة الوعي والتنبيه.

جمال الدين في عدالته وحكمته وكمال خالقه عز وجل، الذي لم يترك فيه سبحانه مجالاً للشك أو الخطأ أو الاختلاف إلا وأوجد السبل الكافية والحاسمة لحلها، بالطبع لايعني ما قلته أني أعارض التمازج الديني والثقافي في الزواج، فهو مناسبة اجتماعية سعيدة تحدث للغالبية مرةً في العُمر ومن حق الجميع الاحتفال بها وتجميلها والتخطيط لها، وكسر حاجز الملل فيها.

قد تكون بعض العادات والتقاليد منافية للكرامة الإنسانية أو فيها تجبر واستعلاء واستقواء من طرف على آخر، إلا أن أخرى تضفي رونقاً خلاباً على الاحتفال بزوجين في ليلة عمرهما، حيث لا داعي لادعات بعضهم وتشددهم وتطرفهم في الممارسة، هي لحظات سعيدة يجب أن نعيشها بمتعة، وخير مثالٍ لنا في ذلك ما

ورد في الصحيحين عن عائشة رضوان الله عليها قالت «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحًى وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ»وفي رواية لهما جاريتان «تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتْ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ».

الغرض بما ضربته من مثل (وأنا هنا لا أفتي وأعوذ بالله عز وجل أن أفعل بغير علم) أن الاحتفال في الشرع جائز ولا حُرمة فيه طالما لا يتعارض مع تعاليم ديننا الحنيف، كما أنه ليس من الوقار أو التدين الادعاء بالركاز ونبذ السعادة والتجمل، فالله سبحانه وتعالى جميلٌ يحب الجمال كما يحب سبحانه أن يرى أثر نعمته على عبده، والاحتفال ليس بمكروهٍ أو محرم على المسلم وفق الضوابط الشرعية، التي كما أُمرنا باتباعها والعمل وفقها، حُبذ لنا أيضاً الاستمتاع بدنيانا!

لنكن أُمة تُجل الدين وتحترم العادات والتقاليد ولكن في نفس الوقت، لم لا نكون وسطيين لا متشددين ولا نحرم ما أحل الله سبحانه وتعالى لنا، ولا نجعل من باب سد الذرائع سبباً دائماً للتضييق والتحريم.

فترة الخطوبة

قبل الـزواج وفي أثنـاء فترة الخطوبـة، يجتهـد كلا الطرفين في العلاقـة بأن يظهـرا أجمل مـا فيهمـا من صفـاتٍ وأخلاق، ومشـاعر ودٍ ومحبة، ولهفة وشـوق، لدرجـة أن المعايش لواقعهمـا يظن أنهما سـيكونان أسـعد زوجين فـي الخليقـة، وسـيحييان ذكـرى يوتوبيا أو المدينه الفاضلة، التي سـيكون لبنة تكونها شـخصيهما، سينجبان كما يقـال عند العامـة «صبيـان وبنات» وطبعـاً سيعيشـوا جميعاً فـي رفاهٍ وسعادة لا تضاهيها في هيئتها إلا قصص الحب الأفلاطوني الخالدة، التـي تتحدث عن حـبٍ منـزه لا تشـوبه شـائبة، ولا يتخللـه نكد أو حزن، وإنما سعادة وبهجة مطلقة.

التمثيـل أو الادعاء والتصرف بمثالية هي سـمة هـذه الفترة عند الأغلبيـة، والملائكيـة واللهفـة والشـوق هـي صفـات كلا الطرفـان، والاشتياق هو ما يجعل المسافات قريبة حتى لو طالت.

بعضهـم الآخـر يفسـر مثاليـة فتـرة الخطوبـة برغبـة الطرفيـن المتشاركين حديثاً في العلاقة إظهارأفضل ما فيهما من دون الجوانب السلبية والتي تكفل الأيام لها الظهور في حالة الزواج.

لا يسـتغني أحدهما عـن الآخـر، ولا يقـدر أن يمر عليـه يومه من دون مكالمةٍ هاتفية من الحبيب تطفئ نار شوقه وهيامه، وتشجن أحلامه بلحظـةٍ يضمهما فيه بيت واحـد مع أماني خياليـة بأن يمضيا العمـر عاشـقين محتضنين لبعضهمـا، متشـابكةً أياديهما، فـي قلبيهما لهفة تخنق أنفاسـهما إن ابتعد أحدهما عن الآخـر وبحنين ورغبة لا

توصف بأن يتركا العالم سويةً خلفهما ليكونا موطناً وأرضاً لا يعيش فيها سواهما.

يصف كل منهما الآخر ويسميه بما تستقر عليه نفسه من كلمات دلع ينادي به طرفه الآخر، يميزه عن من في دليل هاتفه النقال بأغنية رومانسية أو نغمة عاطفية، تذكره باتصال الحبيب به، يتوارى سريعاً عن الأنظار، ويختلس لحظات وحدة حتى يكون معه بهدوء، ومن دون أن يسمع أحد لهيب الكلمات والشوق.

تنتهي بعدها المكالمة، فيهيمان كلٌّ على حده في مكانه البعيد عن الآخر في دنيا أخرى نرجسية حالمة، عطرة بذكرى لحظةٍ سابقة، يتمنيان حينها أن تعاد الكره، ويعودا متحدثين مرةً أخرى، لكن فكرةً شيطانية مفاجئة تخطر على البال محبذةً عدم إعادة الكره، بل إعطاء الانطباع «بالثقل» والرصانة، وعدم ترك انطباعٍ للآخريجعل منه مقتنعاً أنه الآن أمسى صاحب القوة في العلاقة التي لا يستغني عنه فيها شريكه!

فيما وقت النوم قد أزف، وتقلبات الفراش عليهما تمنعهما من الاستغراق في النوم، «هي» تفكر فيه وتحدث نفسها بحسرة كم بقي من الليالي الطوال عليها أن تنتظر قبل أن يُغلق عليهما باب غرفتهما لأول مرة.

«هو» تتخلل جسده قشعريرة باردة وشعورٌ بالضيق والوله وهوىً جارف يدغدغ أحلامه، في لحظةٍ يشاركها بها الجلوس على مسرح، فيما الأنظار نحوهما ترقب كل حركة، وتنتقد مشيتهما ولبسهما ورقصهما وهمساتهما في «الكوشة» أو تمتدحها، تتخللها «زغاريت» الأقارب، وابتسامات مجاملة في كل اتجاه ومشاعرٌ زائفه من الطيب اللامتناهية يصطنعها بعضهم ليضفي صفة الملائكية والود

على الأجواء، فيشعر الحضور حينها بأنهم على وشك أن يشهدوا أعجوبة حبٍ انتهت بزواج فلان من فلانة..

فترة الخطوبة ليست مقدسة ولا واجب يجب عدم انتهاك حدوثه، فهي بداية التعارف وتشكل المشاعر، ولا تعني أن تكون السبيل لمعرفة الشريك فيها، الذي قد لا يظهر منه الصورة الحقيقية لشكله وطباعه وطريقة تفكيره، وذلك لأنها وقت تجمل وإبراز أطهر ما في الداخل الإنساني من دون واقعية.

الخطوبة بداية تحقق الحلم، ومدخل لإزالة الحواجز النفسية بين زوجي المستقبل المفترضين، الذين إن أظهرا الواقعية البحتة في علاقتهما، فد يؤدي تصرفهما إلى شرخٍ قد يؤول إلى أن يترك أحدهما الآخر. هي «الخطوبة» زمن وفترة ومرحلة وأوقات فتانة وجمالها في نرجسيتها ومشاعرها الحانية، وما تولده من أحاسيس تجعل تتويجها بين الطرفين لا يكتمل إلا إذا تزوجا.

أو ليلة العمر كما يسمونها... قد تكون كذلك في الأغلب، لكنها في المقابل ثيرموميتر أو ميزان، سيقاس عليه التالي من الحياة الزوجية، وستبنى على أساسه العلاقات المستقبلية بين طرفي العلاقة، سواءً أكان الزوجان، أو عائلتاهما.

بالطبع لا يمكن تعميم الصورة، أو جعلها المقياس، لكنها حقيقة يجب الاعتراف بها، وتقبل واقع أن ما قد يحصل في الفرح قد ينعكس للكثير سلباً أو إيجاباً.

في هذه الليلة انتهت فترة الدبلوماسية في التعامل طيلة الخطوبة، وستليها العلاقة الواقعية بين الأنسباء، كما أن التصرفات الفردية والخارجة عن المألوف والمفروضة، هي الشرارة التي ستشعل الخلافات بين كلا الطرفين، وستكون لبنة للتحفز والانتقاد.

أهل العروسين بالرغم من سعادتهما بتزويج الابن والابنة، إلا أنهما إن لم يتصرفا بإيثار وعقلانية وتنازلا في حدود المعقول، سيتحولان إلى التملك، ومحاولة فرض رأيهما لشكل الفرح، وطريقة تسييره وتنظيمه.

سيكون للنساء من كلا الجهتين دور سلبي في خلق مشاكل، أو إيجابي في المحافظة على روح التوائم، وإن كانت حجة جميع الأطراف هي الخروج بحفلة الزفاف بأزهى حلة، إلا أن النوايا الحسنة وحدها لا تكفي، بل قد تكون الشرارة التي تشعل فتيل الأزمة.

تزال
من
من منا من لم يسمع بفرح تحول إلى معركة، تبادل أصحاب الشأن فيه المسبات، هذا إن لم يفضِ ذلك إلى استعراضٍ للقوى، وصراخ يفسد متعة الأوقات الجميلة، ويتحول فيها الحضور من مهنئين إلى مصلحين، أملاً أن يُسوّى الخلاف.

في الأغلب الأسباب تافهة وسطحية، لكن يجري تضخيمها بين غير العقلاء لتتحول إلى مسألة كرامةٍ ورأي يجب أن يتحقق.

إن لم يكن العروسان من الحكمة للوقوف على الحياد، وتجنب الاصطدام، سيتم جرهما إلى أتون المعركة، وحينها وحتى لو سارت الأمور على خير عقب ذلك، ستبقى النفوس ملأى ولن تنسى الموقف الذي تعده وتراه من وجهة نظرها مخزياً.

حينها لن تبدأ العلاقة الزوجية على الأقل من جانب الأهل على خير وجه، بل سيعقبها حملات نميمة وتذكر، والتي قد يتأثر بها أحد الزوجين فيكون وبالاً على العلاقة الناشئة.

حقيقة المشكلة أنها تتراكم بعد ذلك، وفي كل مرة يتم تذكر الحدث، حينها تزداد التحليلات وتسهب التفسيرات، ويحاول الناقم تذكر حتى إيماءات الوجه وحركات العيون، ويعيدون تحليل كل كلمة قيلت، والتمحيص في المقصود بها!

أفراحنا هي بداية المشوار، والأساس المتين لحياة مستقبلية سعيدة، وتكون لعلاقة نسب بين طرفين غريبين عن بعضهما، سيسعدهما أكثر لو سارت الأمور فيه على خير حال، بدون مشاكل أو حزازيات، أو نقمة ناتجة عن مواقف فردية أنانية، أو فيها سوء حكم أو تصرف من طرف ما قد تكون نيته بريئة وصادقة، لكنها أساءت التصرف، فتفاعل معها الأقل حكمة وشد على يدها، لتتحول إلى معضلة وخلاف، قد يسهم أهل الخير في حلها وقت حدوثها،

لكن تبعاتها ستستمر مع الزوجين وأهلهما، وقد تتحول إلى إسفين في صدر العروسين، ومعكر لعلاقتهما، وقد تصبح في يومٍ ما عقبة في استمرار الحياة بينهما.

لنكن أكثر عقلانية وحكمة، ولنتحلَّ بالصبر وحسن التعامل في الموقف، ولا مانع أبداً أن يتنازل أحد الأطراف في سبيل أن تنتهي ليلة العروسين عل أكمل وجه.

هي من المواضيع التي يُخشى الحديث عنها في العلن، بل قد يوسم من يحاول التطرق إليها بالإباحية، وحتى إن كانت وما زالت يلفها غموض ومفاهيم خاطئة يجهلها العديد، وبسبب ذلك على أحد الطرفين في العلاقة أو كليهما تحمل تبعات جهل كان من الأولى التخلص منه، قبل أن يمضي الزوجان أولى ليالي حياتهما سوية.

صحيح أن الزمن قد تغير، والانفتاح أمسى سمة زماننا، والشباب والفتيات أكثر وعياً وتفتحاً، فلم يعد يخفى عليهم ما كان في وقتٍ مضى، مواضيع تتحدث عنها النساء بتمتمة، فيما تعلو وجه الرجال ابتسامات ذات دلالة على العلم بالأمر.

للأمانة لا يعني هذا فقداً للحياء، وإنما كسراً لحاجز الجهل في أمرٍيترتب على الخطأ به بداية غير سليمة، وقد يتحول إلى عقدة أو شعور بالحسرة، تلازم أحد الطرفين طيلة فترة زواجه، كما أن التجاوز فيها قد يؤدي إلى الانفصال إن كان الخطأ به لا يمكن احتماله أو نسيانه.

قديماً أُحيطت ليلة الدخلة بهالة من المتطلبات، التي يتوجب على الرجل فيها إثبات رجولته وعلى المرأة شرفها، جميعها بدافعٍ من العادات والتقاليد المتخلفة واللاإنسانية، لكنها فرض عين يجب القيام به، وعدى ذلك إعلان لشهادة انتفاء الزواج.

مع اندحار ظاهرة العرف في هذا الشأن، وسيطرة روح العقل، وتحكيم الضمير الإنساني الواعي، اندثرت العديد من تلك العادات

الجاهلية، بل ينكرها الشباب ويأبى حتى القيام بها، لكن ومع ذلك، ما زالت تقاليد هذه الليلة يشوبها أخطاء كثيرة، يمكن تجنبها لو تم تثقيف الزوجين قبلها، وعدم تركهما عرضة للاكتشاف والتجربة، أو لأساطير الأصدقاء والأقارب، أو من مر بالتجربه قبلهما.

لا حياء في التعلم، كما أن تثقيف ما قبل الزواج أمر ضروري، بل جوهري لبناء علاقة سديدة وصحية بين زوجين جديدين، سيغلق عليهما باب البيت ولأول مرة في حياتهما ليكونا أسرة سيكون البناء الصحيح لها عاملاً أساسياً في استمرارها.

يستيقظ على رحيقٍ كالعسل يرسم على خده، وأنفاس عطرة هامسة تلامس أذنيه، ورائحة عطرٍ تشبه زهور الربيع، ولمسةٍ حانية مرتبكة ومتودده... تطلب إليه الاستيقاظ وتمطره بكلماتٍ يسهد الروح بها من رقتها وحرارة نطقها، تعلو وجهها ابتسامة لا يُرى للقمر وجودٌ حال سطوعها.

يشعر بسعادةٍ لا توصف بداخله وبسريان نسماتٍ حانية لكن هادرة تخترق عظامه، فيرتعش لها جسده... يفتح عينيه التي مازال النوم يخيم عليها، يغطي وجهه بكفيه ثم يرفعهما نحو رأسه وكأنه يمشطه.... يُرخي ظهره ويعدل من نومه ليكون مواجهاً لها، فيما تشرق ابتسامته التي طالما غابت عن وجهه مغردةً بحديث عشقه وتغزله بها الليلة السابقة.

يُصبِّح عليها برقة كانت غريبة عليه حين استيقاظه ورؤيته لأخواته، فتضحك له معاتبه، فالمساء قد اقترب، والقمر قد دنى والشمس قد غابت، وحبيب روحي ما زال في فراشه.

رقتها وعذوبة حديثها أشغلت عقله وغيبته لحظاتٍ عن وعيه، استرجع فيها زمن العزوبية حين كان يصحو كل يوم وخيالها لا يفارقه، يتألم لأنه وحده من دون أن يعرف وقتها قيمة «هي» التي ستكون نصفه الأحلى، ويتحسر لاستيقاظه الذي قطع عليه حلماً آثر الهوى أن يطيله.

لكنه العمل وتلك الوجوه الكلحى التي عليه أن يتعامل معها،

حتى يتمكن من ادخار ما يكفي لينبذ الوحدة، وينعم بظل قفص الزوجية... لقد عانى وصبر، واجتهد لذاته فيما قصر في حق والديه وأخواته، أعمى عينيه عن حاجاتهم متضرعاً لنفسه أنه يبني مستقبله التي ستستوطنه امرأة لا يمكن لخياله وصفها.........!

تدنو منه لتمسك بيده فيترك السرير، فيما تأخذه صوب مقعدين مخمليين بينهما طاولة صغيرة، تتوسطها ورود حمراء ندية تبدو وكأنها قطفت لتوها.

يقف أمامها وقطرات العشق تُندى، يهيم بها غزلاً وشكراً.... تمازحه قائلة أنها لم تنم منذ ليلتهما الأولى وهي تفكر فيه....لكنها ما إن غفت عيناها حتى استيقظت لتعد له أول وجبةٍ لا تنسى في حياتهما الزوجية.

أسر لها برغبته في الذهاب لسطح المركب كي يستمتعا ببحر الربيع ورياحه الحانية، ويمتعا نظريهما بصفاء مياه الكاريبي التي تكاد أن تكون عذبة من شدة شفافيتها.

يمني نفسه بأن يجلس بجوارها ليعيش في مخيلته قصة ذاك العجوزين العاشقين على متن السفينة في رواية ماركيز التي سماها «الحب في زمن الكوليرا»، فيما تسابق أنفاسه أشواق قلبه كي يمسك بيدها طيلة الوقت من دون أن يتكلما، فيكفيه أنها بجانبه وهي زوجته، وليس مضطراً بعد الآن أن ينام متألماً لأنها ليست بجواره.

هي وبكل أنوثتها تشعل نيران الهيام في قلبه، لا تكاد الابتسامة تفارق محياها، فيما احمرار وجنتيها وصمتها في كل عبارة غزلٍ يقولها لها تشعل أجواء العاطفة بينهما.

أمضيا أكثر من ساعتين الآن من دون أن يتحدث أحدهما

مـع الآخـر، فتواصلهمـا كان بيديهما المتشـابكة، وخصلات شـعرها المتطايرة والملامسة لشفتيه.

همس فـي أذنهـا أنه قـد حضّـر لهـا مفاجـأة.... وبسـرعة كانا قد تـركا المـكان وتوجهـا باتجـاه السـلم المـؤدي لكبينتهمـا، وفيما خطواتهمـا تتجه نحو بـاب مخدعهما وإذا بضوءٍ سـاطع يـكاد يعمي عينيها، وصراخ أطفالٍ مـن حولها، وتلويح زوجها بيـده لابنه بعقابٍ صارم لأنه كسـر المزهرية الفاخـرة التي أحضرها مـن تايلند في آخر سفرياته.

تنظر لهم وأنفاسـها تكاد تشـق صدرها من جماحها، لم تصدق حتى اللحظة كيف انتهـى بها حلمها لأن تسـتيقظ لواقعها، لكن أكثر ما يؤلمها الآن وقض مضجعها هو:

ما هـي يا تـرى المفاجـأة التـي كانـت تتشـوق لرؤيتهـا، والتي أخبرها عنها زوجها في الحلم وقال لها أنه قد حضرها لها!

هي حامل

لا يعلم ما المفروض به أن يشعر، أيحزن أم يفرح؟

هو حملها الأول بعد شهرين من الزواج فقط، فما منَّى نفسه به من شهورعسلٍ طويلة قد انتهت الآن في ظل ما يسمعه من أصدقائه عن تجربة الحمل الأولى للزوجة، ومدى الإرباك والتعب والهم التي تدخله على الرجل حديث العهد بالزواج.

تزاحمت في رأسه الحكايا والتخيلات والصور والأوهام عن ما تدعوه النساء «بالوحم»، وافترض جدلاً أن زوجته ستعاني من أحدها؛ والتي فيها تكره الزوجة رائحة زوجها وتعافه! وبحسبة سريعة أجراها في دماغه، وجد أن عليه أن يبتعد عنها تسعة أشهر، سيتبعها بسبب النفاس اثنتين أخريتين إن سارت كل الأمور على ما يرام، وهو الذي لم يمكث معها سوى شهرين فقط، ولم يكتف بعد من حلاوة التأهل والزواج والاستقرار الذي كان يمني نفسه به.

ضرب جبهته غاضباً بكف يده وتأوه بحزنٍ والقهر يعتلي وجهه، فيما لم تتمالك الزوجة نفسها وهي ترمقه بنظرات ارتباك لتعبر له عن استغرابها لما اعتراه، فقد بدى لها وكأنه فاقد للاتصال مع من حوله ويخرف ويحدث نفسه.

سألته بدلال: ولد أم بنت؟ ولم تنتظر منه الإجابة، حيث بادرته بسؤالٍ آخر: هل أنت سعيد؟

قبل أن تسترسل قاطعها وعلى وجهه ابتسامة مصطنعة، ليخبرها أنه أسعد رجلٍ على وجه الأرض، بل على وشك الطيران من شدة الفرح!

تنهد وهو مستلقٍ على سرير غرفة النوم متذكراً تلك الذكريات بعد مرور ستة اشهر على حمل زوجته، لم يرَ فيها أياً من أسوأ تخيلاته التي راودته لحظة سماعه بخبر حملها، بل على العكس، ها هوفي كل يوم ينتظر بشغفٍ أكثر قدوم المولود الجديد، اختار له اسم والده تيمناً به بعد أن أخبرت الطبيبة زوجته في آخر زيارةٍ لها أنه ذكر.

بالإضافة إلى غريزة الجسد والاستقرار والالتقاء الروحي بين رجل وامرأة، تُعد الذرية أهم منجزات الأسرة، واستمراراً لسلسلة التكاثر وإبقاءً لعجلة الحياة، التي لم تعرف على مدار سنينها جيلاً واحداً أو شعباً أو أمة.

تكاثرها هو ما أعطى للحياة معنى، ومنها تستمد البشرية التجديد والتغييرلتكون أمماً وشعوب وقبائل متنوعة ومتعددة.

صحيح أن بعض الأسر تحرم من نعمة الإنجاب لأسباب إلهية، إلا أن السائد والأصل في الشيء هو أن تحظى الأسرة بأبناء.

الحمل من أصعب وأقسى التجارب التي تمر بها المرأة في حياتها، وبها تتحمل عبء مخلوقٍ آخر يتكون داخلها، ليكون بين يومٍ وليلة نطفة، فينتهي بوليد كان عليها حمله في داخلها شهوراً طويلة، حملها المسؤولية عن سلامته من دون أن يطلبها منها، وأنهك قواها وجسدها، لكنها بغريزة الأمومة وبدون حتى أن تراه، قامت عليه واعتنت به، وعاشت في محاذير طويلة، والتزمت بواجبات في سبيل أن ترى تلك البذرة تخرج من أحشائها سليمة ومعافاة.

النساء درجات في تجاربهن مع الحمل، فمنهن الولود التي عشقته حتى تحول لإدمان لها، فآلامه لا تعدو أن تكون روتينية،

وهي قادرة على تحملها، بل تستمتع بكل لحظةٍ فيه.

ترى من خلاله أنوثتها وأمومتها وواجبها تجاه الجنس البشري، تأبى أن تتخلى عنه إلا إذا وجد فيه ضررٌ لها، هي على استعداد أن تعيد الكرة مراراً وتكراراً في سبيل أن ترزق بأبناء أكثر، وتحظى بأسرة كبيرة، يمتلئ صدرها فيه فرحاً أن ترى أبناءها وبناتها وهم يتحلَّقون حولها.

تستمتع بكل لحظات نشوئهم ونموّهم أمام عينيها، ترى في رعايتهم وتهذيبهم وتعليمهم مهمتها الأسمى في الحياة، فهي مستعدة ومصممة بأن تضحي بكل متع الدنيا وما تملك في سبيل أن تراهم بالغين ناضجين سعداء بحياتهم.

أخريات هن نساء أيضاً وأمهات صالحات، وتتمنى كلٌ منهن أن تكون أماً، لكن حياتهن تتحول رأساً على عقب إن حملت، فيما ينال الزوج من الحمل وأتعابه جانباً، ليكون شريكاً مساعداً فيه، بل إن جزءاً من الآمه وهمومه ومسؤولياته تطاله، وعليه أن يعاني كما تعاني زوجته، من دون أن يتذمر أو يظهر مللاً أو إحباطاً، فكل ما يبدر منه سينعكس على نفسية زوجته، وسينحت في ذاكرتها، ليكون من الصعب عليها نسيانه.

معاناة الزوج بالطبع هي على المستوى النفسي والأسري والاجتماعي، كما قد تظهر تغيرات على روتين حياته فتؤثر على عمله وراحته الجسدية، ونمطه بالاستمتاع بيومه ومتع الحياة، لكنها ستكون بالتأكيد من يتحمل وزر الجسد الناشئ في أحشائها، وما يترتب عليه من تغيرٍ في شكلها ومتطلباتٍ عليها العمل بها والالتزام تجاه مولودها الذي لم ير النور بعد.

بداخله بدأ يفتقد ما كان يملكه سابقاً وبدده حمل زوجته، قد

تمرعليه لحظات ينـدب فيها حظه ويتذمر، لكن مـن الإنصاف القول أنه يتحتـم عليه أن يتحلـى بمخزون لا منتـهٍ من الصبر وطـول البال وحسن التصرف وروح المشـاركة، وأن لا يكون أنانياً، وأن يعلم أن عليه واجبات لا يُقبل التنصل منها، فهي ليسـت معروفاً يؤديه لها أو يمن به عليها.

عليه أن يتعلـم كيف يتغاضى عـن ما كان يعدها مسـلّمات قبل حمل زوجته، ويتنازل عن أساسـياته التي كان يتحلـى بها إن أراد أن يحظى باحتـرام زوجته، وينال ودها الذي سـتتذكره لـه طيلة عمرها، وفيه سترى الزوج المخلص والمشـارك، والذي شعر بها في حملها، وأبى إلا أن يكون معها فيه لحظةً بلحظة، مستشـعراً كل ما عانته في سبيل مولودهما.

قد يرى بعضهم أن الرجل أناني في الحمل، وقد تشتكي بعض النسوة من إهمال الزوج، وتذمره الدائم وشـعوره بأنه مهمل من قبل زوجته، وهذا حديث يصح في العديد من الحالات، ولا تفسير له إلا أن يوصف الزوج بالأناني الذي لا يفكر إلا في نفسـه، وحقوقه التي يرى أنها أهدرت، فيما من تغيرت حياتها هي بالطبع زوجته!

تقبـل الأزواج وتعايشـهم مع حمـل الزوجات مختلـف؛ فمنهم من يرى فيه نهاية المتعة والخفـة والحرية وتقييداً لهـم، فيما آخرون يؤمنون به كالتـزام، ويتعاملـون معه بـكل مسـؤولية وبأريحية وبروح المشـاركة والمشـاطرة، يـرون فيـه أولـى دعامات أسـرة المسـتقبل، وسبيلاً للشعور بالزوجة والتخفيف عنها والوقوف بجانبها.

لتصرفاتهم النبيلة والمسـؤولة والإنسانية بالغ الأثرالإيجابي على حمل الزوجة، كما ستؤطر وترسخ العلاقة الزوجية بينهما، وستؤسس للبِناتٍ قوية من المحبة والثقة المتبادلة والمودة والرحمة.

هل حقاً هذه هي المعادلة، أم أن هذا ما جرت عليه العادة؟

هذا ليس بسؤال وجودي، ومعرفة الإجابة عنه قد لا تعدو أن تكون دليلاً يتمسك به الرجل في دفاعه عن حق السطوة والأفضلية، في المقابل... قد تجد فيه المرأة الثائرة والمطالبة بحقوقها النظرية خلف جلوسها في المنزل، وتحجيم دورها في المجتمع وحصره بإرضاء الزوج والإنجاب والطبخ والتربية!

لو تناولناها من منظورٍ إنساني عملي آخر، لوجدناها صحيحة، فالعادة جرت أن يتحمل الرجل المسؤولية المادية لإعالة العائلة، فيما تتحمل الزوجة المهام الإدارية لتسيير شؤون البيت وفق نظامٍ دقيق يجب أن لا يعرف الملل أو الكلل طيلة حياتهما.

تطبيقها ليس بمطلق ولا قاعدة يجب ألا يُشذ عنه؛ فمع اختلاف منظومة عمل الأسرة، أصبحت المرأة في العديد من المجتمعات عاملة ومساهمة مع زوجها بالمتطلبات المادية وضرورات الحياة التي اختلفت عن الأجيال السابقة، كما أن الانفتاح الفكري الأيجابي الذي بدأ بالانقلاب على الصورة السلبية السابقة والتي حرمت المرأة من حقوقها الإنسانية المفروضة قد غيرت المعادلة، وجعلت منها شريكاً أساساً بدلاً من تابع تتمحور حياتها حول الزوج ولا شيء سواه حال أن ترتبط به.

مجتمعاتنا العربية اختلفت عن الغربي منها في كون عمل المرأة أساس أو اختيار، ففي حين ساهمت الثورة الرأسمالية في زرع

الاستقلالية الفردية، وشجعت على الرفاهية؛ ما زالت المجتمعات العربية تحفظ للأنثى حقها الاختياري في التعليم والعمل، ففي الأغلب.. هي ليست بمجبرة على العمل الذي يتحمله في المقام الأول الرجل، وهو المسؤول عن توفير جميع متطلبات المنزل وحاجاتها الأنثوية من دون أن تضطر إلى أن تغادر منزلها صباحاً لارتباطها بالعمل.

مناخ الاستقلال الفكري الذي اكتسبته المرأة العربية بعد طول صراع مع قوى الإجحاف والتجبر، جعل منها ثائرة تسعى لأن يكون لها الشخصية المستقلة على المستوى الإنساني والعملي، كما جعلها تنقلب على أن محور حياتها الرجل، وترغب بأن تكوّن لذاتها حقوقاً لا تُهمل أو تضطهد أو تُحرم منها كما كانت تتعرض له سابقاً.

في كلا الحالتين.. وحتى إن كانت المرأة عاملة أو ربة منزل، تبقى فطرتها تلعب دوراً في احتفاظها بصفة ربة المنزل التي تسيره وفق نظامٍ أنثوي، وتسعى من خلاله - كما يفترض - على الحفاظ عليه وتمتعه بالأجواء الأسرية.

في المشهد السابق، يبقى على الزوج أن يستمر بواقعه كرجل وأن يعمل على الإدارة الاقتصادية والوفاء بمتطلبات منزله حتى لو كانت زوجته عاملة وبدخلٍ مرموق، فذاك جزء مما فطر عليه كخلقه ولا يمكن تغييره إلا في الحالات التي تنتفي فيها القدرة على العمل، حينها تكون الزوجة خير مساعد وسند له ولأسرتها.

سنة أولى زواج

انتهت فتـرة الخطوبة والفـرح وشـارف الزوجان حديثـي العهد بالزواج على قضاء سـنتهم الأولى في قفص الزوجية، فيما تلوح في الأفق بوادر اختـلافٍ وانفصال لـم يمنعه حتى اللحظـة إلا تدخلات الأهل والأصدقاء ومريدو الخير لهم.

في كل مرة توشك فيها الجرة أن تنكسـر، يهب أحد المتبرعين لتقريب وجهـات النظر والإصـلاح، يجلـس معها سـاعاتٍ طويلة لا تتوقـف فيها عـن الشـكوى والقذع فـي زوجها، تسـتدر عطـف أبيها وأمهـا بإبراز كل سـيئةٍ فيـه وكأنهـا كبيرة، تصـف لهم حيـاة العذاب والشقاء التي عاشتها معه، وتسترسل بإسـهاب في ذكر تفاصيل دقيقة لمشاكلها معه.

لأن أباها هـو المصلح والحكـم، يعي في قرارة نفسـه أن ثلاثة أرباع ما ذكرت لا يعدو أن يكون أسـخف من أن يُذكـر، لكنه يظهر لها إنصاته وتعاطفه، مـع أنه يتمنى في كل لحظة أن يخف حماسـها للحديث وتترك الفرصة له كي يحاول إقناعها.

تكرر على مسـامعه جملةً لطالما سـمعها في كل خلافٍ زوجي لعب فيه دور الحكم، حتى أن زوجته أمطرتـه بنفس العبارات مراتٍ عديدة في أثناء حدوث مشاكل بينهما.

تعطيها أمها كأسـاً من الماء ما تلبث أن تتركه جانباً، لتقسـم له ولوالديها الحضور «أنها لم ترَ معه يوماً أملح منذ زواجها منه»!

بعـد انقضـاء ثـلاث سـاعات مـن شـكواها ونحيبهـا المتكـرر

ودموعها الهامرة، تتوقف أخيراً عن الحديث بناءً على طلبه منها.

يخاطبها بابنتي العزيزة: هلا أعطيت نفسك فرصةً واحدة قبل أن تنامي بعيدةً عنه الليلة بأن تتذكري مثلاً أفضل مآثره... يتركها من دون أن يطلب منها شيئاً آخر وبعد أن قطعت له وعداً أن لا تخلد للنوم إلا وهي تذكر له صفةً أو موقفاً حميداً.

خاطبه الزوج وفي صوته نبرة جدٍ وثقة بأنه مقدمٌ على خطوة الانفصال عنها والزواج سريعاً بأخرى، فلا حاجة له بزوجة ترفع صوتها عليه، وتقصر في واجباتها المنزلية والزوجية تجاهه، كما تأبى أن تستجيب لطلباته سريعاً.

في نظره هي كسولة ومهملة ومتمردة ومسرفة، في حياتها همّان هما: أن تقضي أوقات فراغها في السوق مع صديقاتها وتلعب بهاتفها النقال أو تقضي أطول فترةٍ ممكنة في بيت أهلها، في حين يشعر أنها تتأفف من زيارة أهله، لا تساعدهم في أعمال المنزل، وتتصرف كالضيفة لا كفردٍ من الأسرة، هي كما يصفها تجلس وقد وضعت قدماً على أخرى تغضب من كل كلمةٍ تقال لها، وتأبى أن تتجنب الاصطدام مع أمه.

تناقش الجميع بفوقية وترفض أن تساعد في المطبخ بعد انتهاء أي من الوجبات، على محياها دوماً تكشيرة (كما يصفها) لا ترى إلا في زيارتها الأسبوعية لبيت أهله، في حين يكاد صوت ضحكاتها يصم أذنه كلما تحدثت مع إخوتها وأخواتها،

ليثبت وجهة نظره، يصر على المصلح أن يريه بنفسه أمثلةً لإهمالها، يدخله إلى مطبخ منزله ويشير له كي ينظر باتجاه زوايا الجدار، حيث اتشحت بعضها بسواد غبارٍ مرر يده عليه كي يثبت له أنها مهملة.

يتدخل والده في الحوار ويزيد غيظاً أنها لا تحسن الطبخ ولا الغسل، كما أنها لا ترحب بالضيوف ولا تجيد استقبالهم.

تبكي الأم بحسرة على شباب ابنها وعنفوانه التي أضاعته من ظنوا أنها ستكون خير زوجةٍ لابنهم!

يقاطعهم حكيم الجلسة بإشارةٍ من يده طالباً منهم أن يتركوه وحده مع الابن؛ يوجه له هذه المرة سؤالاً مباشراً لا مواربة به: هل قرارك نهائي لا رجعة فيه، أم أنه مشروط بأن تغير من تصرفاتها؟ وإن فعلت، هل ستعطي لنفسك الفرصة أيضاً أن تستمع لشكواها وتكون زوجاً لها كما تحب أن تكون هي لك! يسود الصمت فيما تبدو علامات التردد قد أخذت تكشف ما يدور في نفسه، يستشعر ذلك، يطلب منه الآن وقد قطع عليه نفس الوعد أن يُكاشف نفسه، والاَّ ينام في ليلته وإلا قد تذكر لها أجمل ما فيها.

وهو مسترخٍ على أريكته المفضلة، يتنهد بصوتٍ مرتفع وهو يتلقى خبر تخرج ابنه من كلية الطب بتفوق، ونجاح ابنته بامتياز في الثانويه العامة، وسط زغاريت زوجته، يحرك رأسه بقوة وكأنه يزيح عنه رذاذ ماءٍ أصابه، لكنه في واقع الحال يمحي من ذاكرته ما كان يفكر به قبل قليل من ذكريات أولى سنوات زواجه، التي لو أرخى فيها العنان لروح الانتقام، لما كان يسمع الآن أجمل خبرٍ في حياته، ولما كان يشهد اللحظة التي يشير بها الناس نحو ابنه الطبيب، مفخرته وسعادة قلبه!

أولى سنوات الزواج هي الأصعب على كلا الطرفين، فيما تتطلب أعلى درجات التضحية والتغاضي، ومحاولة الموازنة بين حياةٍ سابقة كانت العزوبية، وبين وضعٍ حالي تسمى الارتباط.

لا منتصر ولا مغلوب، بل كما يقال «التسوية»، التي يجب

أن يضغـط كلٌّ من الطرفيـن على نفسـه لتقبلها، كي تسـتمر المركب فـي الإبحـار بالرغم مـن كل مـا سـتواجهه مـن عواصـف ودوامات ورياحٍ عاتيـة، لكنها باجتهاد أفرادها وعملهم الصادق سـتتوج راكبيها بالوصول بهم لضفة الأمان!

هي لا تجيد فن الطبخ

في بيت العائلة كانت الصغرى، ولم يكن يخطر ببالها أنها يوماً ما سيكون لزاماً عليها أن تدخل المطبخ، وتكون مسؤولة عن إطعام زوجها، الذي خدعها فترة الخطبة بأن «المعكرونة» أكثر من كافية لإشباعه!

أراد مسايرتها ونيل رضاها ذاك الوقت، وظنت هي جهلاً أنه هدية ثمينة، ورجل غير أكول، فكل همه وصالها والقرب منها!

هاهي الآن تشعر وكأن الدنيا تلف بها، فالأستاذ الفاضل زوجها قد تجرأ وعزم والديه ليشاركاهما وجبة غداء فاخرة، من إعداد زوجته، التي طالها الهمس واللمز، وتناولتها الألسن علكاً وشماتة وتندر، بعد أن تفاخرت أمام الجميع وأكثر من مرة أنها لا تعرف للمطبخ طريقاً، وأنها ومنذ زواجها، كل ما قامت به هو إعداد القهوة فقط،! ففطور الزوج العزيز يصنعه بنفسه قبل ذهابه لعمله، فيما غداؤهم جاهز من مطاعم عدة يحضرها وهو في طريقه للبيت، أما وجبة العشاء فغالباً ما يصطحبها لأحد المطاعم!

على نفسها جنت براقش! فعليها أن تخلص نفسها الآن من مصيبة أوقعها بها زوجها، لإخراج نفسه من عار التبعية لزوجته أمام أهله، وعليها أن تثبت لهم العكس، وتدحض أقوال «العزال» والحاسدين والشامتين، وتتحف حماها وحماتها بعزومه تزيل الغشاوة عن أعينهم تجاهها.

حاولت أمها تشجيعها، وأعطتها وصفات سريعة قد تنجيها من

اللوم، بعد أن شـدت علـى يدهـا، وأبـدت امتعاظها مـن زوج ابنتها الـذي تجرأ علـى إحراجهـا، فيمـا حشـت رأس الابنة بدعـم معنوي لخلق معركـة مع الـزوج لا يخرج منهـا الا ومتعهـداً لها بـألا يكرر فعلته الدنيئة.

لكم أن تتصوروا بقية القصة، فيما الغرض من سردها هو حالة النكـران التي يمارسـها آباء الجيل تجـاه بناتهم، وفرطهـم في الدلال الهـدّام والاتكاليـة والكسـل الذي لا ينشـئ زوجـة وأم وربـة منزل، بل ضيفة ثقيلـة الدم على الـزوج حـال زواجها، مما يخلـق لكليهما مشـاكل قد تتطـور وتـؤدي لخلافـات، كان مـن الممكـن تفاديها لو أجادت الفتاة ألف باء الحيـاة الزوجية، وتعلمت على الأقل وأجادت ما ينجيها مـن اللوم، وأتقنت أبسـط احتياجـات الـزوج الغذائية، من دون الاعتماد على وجبات المطاعم وطلبات التوصيل.

صحيـح أن الطبخ مهـارة وموهبة وهبـة لا تملكها كل النسـاء، لكن أبجدياته هو ما يجب توفره لدى المرأة، وليس في ذلك إنقاصٌ من شـأنها أو اسـتعبادٌ لها، بل هو جزء من فطرتها السليمة، وواجب عليها القيام به في مقابل مسؤوليات أخرى منوطٌ بالرجل فعلها.

قد يكون الطريق لقلب الرجل عبر معدته، لكن الأكيد أن أفضل السـبل لإسـكات نوبات حنقـه عقب عودتـه لتنـاول غدائه هـي عبر وجبة مميزة لا تترك له مجالاً للتذمر او الشكوى.

إهمال الجانب الغذائي قد لا يرقى لحـد المعضلة عند العديد، لكـن الواقع مختلـف، فهو مهـم وجوهري وأسـاس، والمـرأة الذكية تسـتطيع من خلاله تمريـر لائحة طلباتهـا، بعد أن تنـال رضا زوجها عقب وجبة شـهية أعدتها له وأربكت جسده ليسـعى لقيلولة، قبل أن يخلد لها، مررت له ما شـاءت فأومأ لها وبكل أريحية بالموافقة لما

طلبت، لينام بعدها مستسـلماً لغفوة هي كالتحلية بعد الوجبة الدسمة التي أعدتها العزيزة زوجته، وأسـكتت بها تقلصات أمعائه، وأسعدت بها روحه وجسده.

النساء بطبعهن أكثر انفتاحا ورغبة في الفضفضة والدردشة والحديث أياً كان الوقت والزمان إلى من يقابلن، حتى لو كانت سيدة تعرفت إليها في أثناء انتظارها في عيادة طبيب الاسنان.

فترة الانتظار تمثل لها فرصة للاستكشاف وتجنب الصمت المطبق والسرحان في واقع الحياة ورتابة الانتظار وملله.

لا تستغرب إن استطاعت امرأتان أن تعرفا أحوال بعضهما خلال ربع ساعة أكثر مما عرفه رجلان عن بعضهما بعد مضي أكثر من سنة على عملهما سويةً في نفس المكتب!

يميل الرجل بطبعه للكتمان ويحاول أن تكون حياته الخاصة أحد أسراره المقدسة التي يجب أن لا يعلم بها أحد.

في المقابل المرأة أكثر انفتاحاً في هذا الشأن وأكثر استعداداً لتشارك الغريب شكواها وآلامها أو حتى ما يضايقها من زوجها وأبنائها، لا تجد صعوبةً أبدًا في كسر الحواجز والادعاء بينها وبين نفسها أن من يشاركها الحوار إما صديقة قديمة أو شخص تثق به تماماً لتشاركها مشاعرها وآلامها، إن لمتها على ما فعلت، أخبرتك أنها غريبة ولا علاقة اتصال بينهما، وليس هناك من فرص لأن تكشف سرها أو نجواها لأحدٍ تعرفه.

أحد أهم الاختلافات الجوهرية بين الرجل والمرأة والتي لن تسأل عليها أحداً إلا وأجابك بالقول: هي رغبتها في الحديث وبالتفاصيل الدقيقة وبلا كلل، في حين تشتكي النساء من إهمال

الرجل لحديثها وتذمره منه ورغبته الدائمة ألا يكون طرفاً فيه.

إن استمع لها يكون مجبراً كما يشعر، وغير منصتٍ بتركيز كما تشتكي، بل إن أكثر ما يوقد غيظها هو مقاطعته الدائمة لحديثها طارحاً حلولاً لما تتحدث به، في حين تشعر هي أن كلامها ليس إلا فضفضة لا تبتغي من المستمع لها إلا مشاركتها المشاعر والشعور بما تحس به.

تكره المرأة من معشر الرجال ما تعتبره استذكاءً عليها، وحلوله المطروحة، التي تشعرها وكأنها محدودة التفكير ولا تستطيع أخذ القرار، في حين - غالباً - ما يظن الرجل أن حديثها معه هو استجداءٌ غير مباشر للمساعدة، وطلبٌ لنصحه القيم، وحكمته في الحياة التي اكتسبها بعد كفاحٍ طويل ومواجهةٍ للمشاكل والمصاعب.

رغبة الزوجة في الحديث حال دخول زوجها المنزل، أو بعد عودتها من اجتماعٍ مع صديقاتها أو مكالمة هاتف، وتفصيلها الدقيق والممل في نظر الرجل للموضوع هو سنة زوجية حاضرة أياً كانت المجتمعات.

هي جزء من التكوين العقلي للمرأة، وجزء من شخصيتها يشعرها أن كم المعلومات التي تخزن في ذاكرتها لابد له من منفذ يصل إليه، وهو في هذه الحالة زوجها.

الرجل اجتماعي وقد يكون ثرثاراً بمعية أصدقائه، لكنه غالباً ما يلتحف رداء الصمت والكتمان حال دخوله المنزل، لا يرغب سوى باللعب بهاتفه النقال أو الإمساك بريموت التلفزيون، ليكرر من دون ملل تقليب القنوات وتغييرها من دون أن يستقر على برنامجٍ بعينه، في حين تشعر الزوجة أن ما يقوم به لا يعدو أن يكون كللاً يعانيه، لكنه يأبى أن يتخلص منه عبر مشاركتها الحديث وإخبارها بتفاصيل

دقيقة عن كيفية قضائه ليومه.

لا يزعجها أبداً، بل تسعدها التفاصيل المملة والأسماء والأماكن وردات الفعل التي يجب أن يتخللها الحوار، في حين لا تعني كل هذه التفاصيل للزوج شيئاً، بل على العكس، في ذكرها تضييع للموضوع وخروج غير لائق عنه.

كم عاش أزواج مع بعضهم طيلة العمر باستقرار ومن دون أن يغير أي منهما طبعه إما في الحديث بالتفصيل أو إيثار السكوت والاستماع مجبراً، فيما ساعدهم تصرفهم هذا على الاستمرار سويةً لأنهم اقتنعوا بضرورة تقبل طبع الشريك الآخر، وعدم التفكير أبداً في تغييره وتحويره ليقتنع بأسلوب الآخر وبنهجه.

إذاً القاعدة هي: لتستمر المرأة في الحديث، في حين من حق الزوج أن يسكت ويؤثر الصمت!

أغلب من ستشملهم من الأزواج باستفتاء لمعرفة مدى رومانسيتهم، ستكون الساحقة من إجاباتهم بنعم، لكن هل توحي حقاً لنا هذه النسبة أو تشير للواقع؟

باعتقادي لا، والسبب أننا شاعريون بأحلامنا ومع الآخرين، حين نظهر لكياننا الداخلي ومن يلتقي بنا أننا أهل روحانية، فيما ممارساتنا لا تعكس ذلك إطلاقاً، وكأننا مصابون بشيزوفرينيا أو حتى الشخصية المزدوجة، فحين يتعلق الشعور بالذات وحدها، تجدها تسعى إلى السمو، وترسم لنفسها في أحلامها صورة مختلفة للنموذج الذي تتمنى لشكل علاقتها بالجنس الآخر، لكنها حين تصطدم بالواقع تتصرف عكس ما تمنته لنفسها.

الرومانسية صفة تحب أن تمنحها النساء لنفسها، فيما يغضب الرجال حين تتهكم بهم الأنثى وهي تنفيها عنهم وتحصرها بها.

لو استطلعنا مجدداً تعريفاً لها لمن يدعيها لوجدنا المفاهيم مختلفة ومتناقضة وحتى لو اتفق بعضهم في بعض ممارساتها، إلا أن الأغلبية ستعرفها وفق ما تحلم به أو رسمته سابقاً لشكل العلاقة مع الجنس المقابل، أو ما تشبعت به عبر رؤيتها لتصرفات آخرين لامست هوى في نفسها.

قد تكون باقة ورد ومعها بطاقة وسيلة لكسب ود امرأة لكنها
ممتعض
وبالعكس قد لا تأتي بالأكل مع رجل غضبان أو ممتعظ، فيما قد تؤثر به ابتسامة وعناق وكلمات اعتذار رقيقة، مع وعد بعدم تكرار ما أغضبه.

أخريات ينظرن إلى الرومانسية كما آخرين عبر ممارسات عاطفيه، يتخللها تصرفات شاعريه؛ كأن يفرش أحدهم سرير غرفة النوم بالورود، ويزين الجدران بدببة وقلوب احتفالاً بعيد زواجه، فيما يستسخفها آخرون ويسمونها طائشة ومراهقة لا ترقى أو تليق بمن في مثل سنهم!

المفهوم البشري للسعادة المطلوبة من جنسه الآخر مختلف ومتقلب ومتناقض، كما لا يمكن إعطاؤه وصف واحد ينطبق على الجميع.

قد يرجع ذلك لأسباب عدة ومنها البيئة والتربية والقناعات المبكرة تجاه شريك الحياه، ومدى جدية الشخص وعبثيته، كما التحلي بروح الرتابة أو التحرر والانطلاق والتجديد.

بالرغم من ذلك ستبقى الرومانسية مشاعر وتصرفات إنسانية جميلة مهما اختلفنا في مهيتها وممارستها، وبدونها سيكون التعايش رتيباً وروتينياً يعتريه الملل ويحطمه التكرار.

هو قليل التركيز وهي شديدة الملاحظة

تمتعض

جملة يوصف بها الرجل عندما تمتعظ منه المرأة، فيبادرها بالشق الثاني من القول وينعتها به بدوره، وكأنه يدافع عن نفسه وكأنها تتهمه بما ليس فيه.

هذا النعت ليس مطلقاً ويمكن تعميمه على سمات الإنصات والحديث لديهما، بل هو أقرب ما يكون لتصور حواراتهما في روتين الحياة التي جمعتهما فيه تحت مظلة زوج وزوجة.

مع التكرار وظروف التعايش سويةً لا بد من التواصل، حتى لو كان أحدهما قليل الكلام، فذاك حينها يمكن ممارسته خارج منزله، أما داخله.. فعلى الطرف المقل في الحديث أن يتعلم ترك صمته خارج باب البيت.

تندب حظها لأنه انطوائي ويقضي يومه ما بين عمله ومنزله؛ فيما هو يتهمها بأنها مصابة بداء الملل، وكل همها أن تقضي غالب وقتها في الوجود خارج منزلها.

لقد بدأت تعتاد على طباعه وتتقبلها، بالرغم من محاولاتها إخراجه خارج كهفه الذي يتقوقع فيه، لكن ما لم تقدر على غفرانه له هو صمته المطبق في منزله.

كلما تحدثت إليه، نادراً ما يتجاوب معها أو يتفاعل، وإن فعل فبحدٍ أقصى بإيماءة ناعسة، تصدر منه عن قصدٍ ليشعرها فقط أنه ما زال منصتاً لها.

تستاء من عدم تركيزه حينما تسمع إجابةً منه عن رأيٍ له فيما

قالت، لكنـه وبدلاً مـن أن يجيبها يستفسـر منها عن أمـرٍ كررته عليه مراتٍ عدة!

ممتعضة

تصيح به وهـي ممتعظة، ومنتقـدةً لانعدام تركيـزه، لكنه يبادرها بالغضب من حرصها على التفاصيل فيما تهمل الموضوع الأساس.

فيما لا يلقي بالاً لتعابير وجهها في أثناء حديثها معه، تنظر إليه وترمقه بنظرات متفحصة وكأنه تحت عدسة مكبرة، لا يغفل عنها أن تلحظ كل حركةٍ تصدرمنـه، وفورحدوثها تدرك كذي قبل أنه سـارحٌ بما يشاهده على التلفزيون وفاقدٌ للتركيز معها!

عبارة في داخل كل «هي» و«هو» تجد صدى في النفس ويحاول كلٌ منهما أن يدعيها لبني جلدته، ويمنعها عن الآخر، الذي لا يشير له بالغباء بمقدار ما يجعل لنفسه الريادة في الذكاء.

في جلسات الشباب بل حتى الشيوخ منهم تجد المرأة محل تندرٍ لهم، كلٌ منهم وبطرافة يحاول أن يروي قصة أو حادثة أو موقف حدث له أو سمع عنه عن معشر النساء، فيما الحضور وبابتسامة تكاد تخرج من محياههم متهيئين وحتى قبل سرد حكايته، فالموضوع وطالما هو عن «سخافة الستات» لا بد أن يكون مضحكاً مرحاً يدعونا معشر الجنس الذكري أن نضحك عليه!

لا تختلف هي الأخرى عنهم في اجتماعاتها مع صديقاتها التي لا بد أن يكون للرجل جزءٌ غير يسير منها، قد لا يكون سلواهن فيه التندر عليهم بمقدار ممارسة عادة نسائية أصيلة توصف بها المرأة وهي «النميمة» (مع العلم أنها ليست حكراً عليها)، لكنها جزء أساس لحديث امرأتين فأكثر إن اجتمعتا في مكانٍ واحد!

الذكاء ليس حكراً على أحد الجنسين، كما أن تفسيره يحتمل أكثر من معنى، فما قد يبدو عبقريةً وإلهاماً في عيني المرأة. قد يبدو سذاجة من منظور الرجل.

كثيرا ما سمعنا أن الرجال متذاكون، والنساء هن الأقدر على كشفهم، في المقابل يتصور الرجل المرأة ساذجة لا تفكر إلا في سفاسف الأمور، فما يشد انتباهها لا يرقى حتى بأن يخطر على بال

رجل، ومن هنا يكون اسـتئثاره بالذكاء وظنه أنه قـادر على التلاعب بها، فيما هي من أفضل من قد يلعب دور الساذجة، في الوقت الذي يعمل الجزء الآخر من دماغها للتخطيط للانتقام أو للفوز بالمعركة.

اجتماع ذكر وأنثى في بيتٍ واحـد لا يكفيه فقط ذكاؤهما، ولن يغـذي روح الحياة فيـه، بمقدار ما سـتكون عليـه حالـة الحكمة في المنـزل، والتي بدورها سـتخفف مـن ذكاء أحـد الأطراف وسـذاجة الآخر ومكـره في سـبيل أن تكـون حياتهـم مـع بعضهم مبنيـة على التفاهم والصراحة المشتركة لا التذاكي على الشريك واستغفاله.

ماذا تريد على الغداء؟

هو سؤال يكرهه جزء لا بأس به من الأزواج، وخصوصاً الأقل تماشـياً مع المثل الشـعبي السـائد بأن الطريق إلى قلـب الرجل عبر معدته.

تطرحه عليه زوجته وهو مسترخٍ على السـرير يستعد للنوم وقد احتضن مخدته وأرخى لحواسه وجسده المجال كي يغيب عن وعيه، لكن حالة دخوله أولى مراحل النوم تقاطعها زوجة تتمدد إلى جانبه، أملاً منهـا أن يوقظـه هذا السـؤال قليـلاً فيدع لهـا مجالاً للدردشـة، وحتـى لو كان عبـر مجهـودٍ إضافي يترتـب عليهـا القيام بـه إن كان صاحب مزاجٍ عالٍ، وطلب طبخة ستأخذ منها وقتاً أكثروجهداً أعظم!

تستشـعر أنـه قـد سـمعها لكنـه يوحـي لهـا عكـس ذلـك... تكررالسـؤال عليه مجدداً وبإلحاحٍ هذه المرة، ليس لأنها ترغب حقاً في إثلاج بطنـه بوجبة دسـمة، ولكـن لأنها تكـره منه هـذا التصرف الذي يشعرها به، وكأنه يطلب إليها بشـكلٍ غير مباشر مغادرة الغرفة وإغلاق الباب خلفها.

يتمادى في موقفـه ويبدأ بإصدار أصوات الشـخير المفتعلة أملاً منه أن تكـف عن الحديث، لكنهـا لا يخفى عليها حيلته المكشـوفة، والتي طالما مثلها على أبنائه بتنسيقٍ معها كي لا يزعجوه.

هذه المـرة تسـتخدم يدهـا وبدون لطـف وتهـز كتفه، فالمسـألة بالنسـبة لها أصبحت موقف كرامـة لا وجبة غداء! يدعي أنه اسـتيقظ هلعاً بحركات مزيفة، لا تنتظر انتهاءها لتقل له بالعامية «العب غيرها»

لقد سألتك سؤال ولم تجب عليه...تخاطبه وهي مستفزة، وتردد على مسامعه جملةً لطالما سمعها تقولها له: أنا لم أطلب منك أن تستيقظ الآن لنتنزه في الخارج، ولا لشراء حاجات المنزل! كل همي إسعادك والاهتمام بصحتك وإذا بك بالمقابل بدلاً من أن تشكرني تتجنبني وتهملني وتدعي أنك قد غفيت، في وقتٍ لا تحتاج الإجابة عن سؤالي إلا ثوانٍ!

يستشعر الآن حرارة الموقف وهو كله أمل أن لا يطير النوم من رأسه، فهو موقن إن أرخى العنان لغضبه وأمطر كلماته عليها، سيصاب بحمى الأرق الذي يبعثه في النفس تذكره لآلاف المشاكل التي عاشها معها منذ زواجهما.

يخبرها سريعاً وبمقاطعةٍ لحديثها رغبته في أن يتناول الطبخة «الفلانية»، فهو مشتاقٌ لتذوقها من يديها الماهرتين، كما يسترسل ليثني عليها حين صنعتها آخر مرة.

تبدأ النشوة تدب على محياها وتبادره على الفور متسائلةً... متى؟

هذا ما كان يخشاه، فكل ما يذكره أنها إحدى الوصفات التي تتفاخر بإجادتها، وها هو الآن قد وقع في شر كذبته، لكنه وبذكائه الذكوري يبادرها القول: ما عدت أذكر تاريخاً لأي ما تمتعينا به، فكل طبخاتك هي علامات فارقة في فن الطعام، لا يمكن لأحد أن يتقنها إلا القلة، وهن على الأغلب من طرف والدتك التي سلمت أناملها حين حظيت بشرف التعلم منها.

ليس بغريبٍ عنه قوله هذه العبارات! قالتها في نفسها وهي تدرك أن الزوج العزيز يتهرب مما أوقع نفسه فيه، لكنها كأنثى تُحب أن تمدح ولو حتى باطلاً، أعجبها ما قال لها، وسوف تبادر حال

تركه بالاتصال بأمها لتخبرها عن تشكرزوجها لها وافتتانه بطبخها.

انتهـى الأمر علـى خيـر وخلد صاحبنـا للنـوم. وفيما هـو عائدٌ لمنزله في اليـوم التالي بعـد عمل يوم طويـل في ظل أجـواء صيفية حارة، وإذا بهاتفه النقال يصدر نغمة لتنبيهه لوصول رسالة.

لم يلق بالاً لها، فهو يكره أن يلتهي بأي شيء في أثناء القيادة، لكن فضولـه يدفعه قبل ركن سـيارته أمـام المنزل لقراءتهـا، وإذا بها من الغالية التي تسـببت فـي أرقه الليلـة الماضية تطلب إليـه فيها أن يحضر معـه وهو قـادمٌ للمنزل وجبـة غداءٍ لأنهـا لم تجد مـا يمكن طبخه في الثلاجة!

تقبـل الأمر بصـدرٍ رحب لكنـه غاضـب، ويأبـى أن يظهر ذلك حتى لا يدخل مجدداً في دوامة التبريرات التي ستقوم بترديدها له إن عاتبها.

هـذه المـرة وقبـل أن ينـام، ناداهـا حبيبتـي وروحـي: هـل من الممكن أن أطلب إليك طلباً؟

ردت عليه وهي منحنية نحوه بأنها آذان صاغية.. سـألها وبراءة الأطفال في عينيه وبكل ذوق وأدب:

ماذا ستصنع لنا أناملك الماهرة غداً لوجبة الغداء!

عم الصمت المكان، فيما قبلته على جبينه متمنيةً له ليلةً سعيدة وأحـلام هنيـة، مع شـكوى منها لـه وعتـاب كونـه حتـى اللحظة لم يأخذها للسـوق لشـراء ما ينقص مطبخهـا، وبالتالي عليـه مجدداً مع وعدٍ بتذكيره غداً أن يحضر معه ما تجود به نفسـه من أشهى الطعام ولكن دون أن يكرر وجبة الغداء، فملحهـا قليل وطعم مكوناتها غير مكتملـة النضوج، كما أنهـا كما قالت له، تسـتطيع صنـع أفضل منها وهي مغمضةٌ لعينيها!

متعب وحانق ويشعر بالقهر والضيم، فكل ما يقوم به لا يشعر أنه محل تقدير وشكر من عائلته وأقرب الناس إليه، وخصوصاً الزوجة والأبناء.

يشعر بأن كل ما تخيله لنفسه وحلم به قد تبخر مع سراب الأسرة والزواج والأطفال والالتزامات والطلبات اللامنتهية.

هو الآن آلي مطلوب منه أن يفني عمره في إسعاد الآخرين، وتحقيق مطالبهم، ومن دون أن يلتفت إلى نفسه، تكدحه الحياة بمصاعبها، وتلطمه الأيام، فيما هو صامد، ويحارب لكي يبقى مرفوع الهامة وكي لا يسقط.

كلما قارب على الانفجار، يهدأ روع نفسه بنفسه، ويذكرها بمن هم مرهونون به، كما تتداعى أمامه صورة والديه، بكفاحهما وكدحهما المتفاني لتربية أسرتهما الكبيرة، لا يجد مفراً أن يلعب الدور نفسه، بل بالنسبة إليه، لا بد له أن يكون خلفاً لهما، ومكملاً لمسيرة الحياة، التي تتطلب منه أن يكون رب أسرة وراعيها، يسهر ويعمل على توفير الحياة الكريمة لها، من دون منة أو أذى، بل هو الفرض الذي يجب أن يحيى من أجله.

في قرارته، يسمي نفسه بالحمال، فما يقوم به كل يوم عند خروجه من المنزل، هو حمل أكياس النفايات المتراكمة ورميها في الخارج، كما أنه وقبل عودته للبيت عليه أن يحضر ما يطلب منه، ومن ثم الصعود بها للمنزل..

بدأ يشـعر أن روتين الحياة مقبلٌ علـى تدميره، كما أن مشـاعر الشفقة على شبابه وعنفوانه السابق تحطم ما تبقى من صبره.

في المجتمع الشمولي، يتحمل الرجل العبء الأكبر في الأسرة، فهو الممـول المالي، ومصدر الدخل الذي يجـب أن لا ينضب، كما أنـه المنسـق الترفيهي، وعليـه يقع عاتـق الترويـح عن أسـرته خارج المنزل في رحلات أو زيارات أو فسح.

هو حـلال المشـاكل والبطل الخـارق، والـزوج المحب والأب الحاني، كمـا أنه الابـن البـار وواصـل الرحـم، والموظـف المثالي، والمسـتمع الصبور، والنجـار والحـداد والفكهاني وحتـى إن اضطره الأمر فهو السايس والكهربائي، و....و....و....!

ينطبق عليه المثل الشعبي الذي يصفه «بسـبع صنايع، ذو الحظ الضائـع»، فيمـا تنتابه حـالات اكتئـاب شـديدة، عليـه أن يخفيها عن أقرب الناس إليه، حتى لا يوصف بالمتذمر المتذرع، يعاني أحيانا في داخله الأمرين، ولكن مـن دون أن يفصح لأحد عمـا يعتمر بصدره، ويمزق مشاعره.

الرجل العربـي الكادح هـو الجنـدي المجهول فـي المجتمع، نرى إنجازاته، لكننا لا نسـمع به أو نعرفه، يؤسس للاستقرار ولكن من دون أن يقـام له نصبٌ تـدكاري، ومن دون أن يكال له الشـكر والثناء، ومـن دون أن يفتقـد إلا إذا قصرعن قصد أو بـدون، حينها يلام ويؤنـب، ومـن دون أن يحـاول أقرب النـاس إليه سـؤاله عما يوجعه.

الصورة السـابقة هي حالة علينا أن نقر بوجودهـا بيننا، لكننا لا نملك أن نعممها كصفة لحال الرجل الشـرقي فـي مجتمعاتنا! أغلب

المسؤوليات ملقاة على عاتقه، وخصوصاً إن كانت الزوجة ربة منزل، ويعيشـان في مجتمع محافظ يكبـل المـرأة ويقيد حركتهـا، ويجعلها رهناً بالرجل، متكلة عليه، وغير قادرة على القيام بواجبها لمسـاندته، ومشاركته الحمل إن استطاعت.

حوار الطرشان

هو ذاك النمط من النقاش البيزنطي الذي يتحدث فيه الطرفان في الوقت نفسه، من دون أن يكون أي منهما مستمعاً للآخر ومن دون استيعاب لما يلقيانه من كلمات وقعها كالحجارة التي لا تبقي من زجاجٍ أثراً إن اصطدمت به، لكن وقعها قد لا يعيره المحاور انتباهه لأنه مستغرقٌ هو الآخر في الحديث بلا هوادة أو رغبة بالاستماع لخصمه.

ليس غريباً عن أيٍ منا، فلا بد أن أحدنا قد مارسه مرةً ما في نقاشاته، لا استثناءات فيه وإن عُرف به أحيانا زوجٌ غاضب وزوجته التي على وشك بركان دماغها أن ينفجر.

قد يكون أصل المشكلة سخيفاً «وهو في كثيرٍ من الأحيان كذلك»، إلا أن النفس البشرية المستفزة تأبى على نفسها إلا أن تنتقم لروحها المعنوية، وتنفس عن نفسها بكلامٍ يجري كالحمم التي لا تبقي ولا تذر.

الحكمة وضبط النفس سمة لا توجد في هذا النوع من الحوارات الزوجية التي يغيب عنها إدراك عواقب الحديث، فيما يغذيها نار الانتقام والرغبة بالانتصار وتكسير كبرياء الشريك دونما أي مراعاةٍ للنهايات التي تنتهي بندمٍ على ما بدر.

في حال انتهائه على خير، يقسم كلا الطرفين المتخاصمين (الزوج وزوجته) أغلظ الأيمان بأنه لم يقل ما يتهمه بقوله الآخر، والذي يستشهد بدوره بالحلفان لتصديق قوله.

الحجة لكليهما أنه بعد انتهاء المشكلة قد أصابه فقدانٌ مؤقت للذاكرة يجبره على أن لا يتذكر أيّاً من الكلمات التي تحدث بها في أوج المعركة.

من وقتٍ لآخر لا مانع من مثل هذا الحوار، فهو متنفس وتحريرٌ لكبتٍ في الصدر، كما أنه يفرغ جعبة العقل من ثقلٍ يدميها، فيفرغها ليترك الباب مفتوحاً لأحقادٍ زوجية جديدة ما تلبث أن تستقر بمكانها في النفس، لكنها ستجد يوماً ما وقتاً تتحرر به عبر حوار طرشانٍ آخر يشعله غضبٌ عارم.

الأقدر على إخماد حرب الكلمات بين الأزواج هو المودة والرحمة التي اكتسباها من عشرتهما مع بعضهما بعضاً، ورسختها القناعة القائلة بأنه مهما عظمت المشكلة إلا أن حلها قد يكون سهلاً أحياناً بأن يتنازل أحد الطرفين للآخر، كما أنهما إن اعتمرا في القلب واستوطنا النفس، سيكونان بمثابة رجل المطافي الذي يخمد نار غضبهما ويوصلهما إلى بر الأمان من جديد.

لكن سيبقى أزواج آخرون يعانون مرارة الفراق بسبب حوارٍ أعمى لم يبق فيه أحدهما من سوءٍ إلا وذكره وألصقه بخصمه، ليستحيل بعدها العشرة، وتكون النهاية أشبه بالقشة التي قصمت ظهر البعير.

حقيقة.. ولكن لا يمكن تعميمها، فهناك نـوع من الرجال الذي يشارك النساء الفضول لمعرفة كل صغيرة وكبيرة، كل شاردة وواردة، إلا أن الأغلبية منهـم، والحق يقال، لا تعنيـه التفاصيل ويطالب دوماً بما يسـميه «الزبـدة» أو الخلاصة، ليـس لأن وقتهـم ثميـن والدقيقة عندهم بسـعرها الذي لا يعـوض، بـل لأن الرجل بطبعـه غير صبور لسـماع ما لا يهمه، كما أنه أكثر عمليةً من المرأة في الدردشة وأقل صبراً منها لانتظار النهاية.

لن يسترعي انتباهه في الحدث أن يعرف وقت حدوثه بالضبط، ولا أسماء الأشخاص فيه وصلة قرابتهم، كما لا يسترعيه ردات فعل من في القصة ولا مشـاعرهم، وكيف اسـتقبلوه وتقبلـوه، وهل كانوا يلبسون حينها قميصاً وبنطالاً أو بدلة توكسيدو، أو........وإنما يهمه أن يعـرف ما انتهت لـه، ومن ثـم يقلب الصفحة ليشـغل نفسـه بأمرٍ آخر.

المرأة بطبعها شـديدة الفضول وتهتـم بأدق التفاصيل، ويشـكل الحدث بالنسـبة لها مناسـبة اجتماعية، تتعرف مـن خلالها على واقع حيـاة مجموعـة مـن النـاس، كمـا تتخيـل نفسـها جـزء مـن الحدث وتتفاعل معه لدرجة أن من يراها يظن أنها من تعرض للموقف، فيما هي تستمع إليه للمرة الأولى.

لحظـات إنصاتهـا متقطعة يتخللهـا مداخـلات مسـتمرة لمعرفة إحدى التفاصيل الصغيرة التـي لم يتطرق إليها المحـدث، كما تظهر

تعابير وجهها جلية، وخصوصاً حين تصبغ على نفسها صفة الحكمة وتبدأ بالتنظير وطرح رأيها، الذي يتخلله نقد ومدح بحماسة يستغربها منها الرجل وحتى يمتعظ، فما يغضبه كونها متفاعلة مع الحدث لدرجة الثماله، فيما هو يراه موقفاً آخر في الحياة تعرض له شخص ما ولا يهمه أن يعرف ما هو ولا ما انتهى إليه.

الأنثى بطبعها ذات فضول شديد ومُحبه للقيل والقال ولمعرفة أخبار الناس، كما أن الصفة العامة لبنات جنسها هي الاجتماعية والتعرف إلى الآخرين من دون قيود أو خشية من أن يقال عنها «ملقوفة» ولا تهتم بشأنها فقط، بل تدس أنفها في كل رائحة نافذة تمر من جانبها.

الذكر يدعي أن الكون لا يعنيه وأن كل ما يهمه هو الاختصار في القول وتجنب الإسهاب غير المبرر والتفاصيل المملة التي تشتت فكره وتمنع عنه التركيز في الموضوع الأساس.

إذاً هما طبعان مختلفان لا يعممان، لكن الصفة السائدة لهما قد تنطبق على قسم ليس بيسير منهما، ومع ذلك لا يمل أبداً أحدهما من التحدث إلى الآخر، والإنصات له وكأنه في قمة اهتمامه.

يعـود للمنزل ومنظره الخارجي يشـبه من تأبط شـراً، يفتح باب منزله ليجـد أطفالـه أمامه، يلتفـون حوله، فيمـا تغمرهـم الضحكات وحركات شـقاوتهم البريئة، يسـرق ابتسـامة خاطفة وحضنـاً مصطنعاً يلفهم به، يتـرك ما فـي جيوبه على أقـرب طاولة، فيمـا يتخلص من حمل حاسـبه المحمـول، ويلقي علـى مسـامع زوجته المسـتلقية في غرفـة الجلوس بتحيـة روتينية، فيما يتوجـه صوب غرفة النـوم لتغيير ملابسه، التي يرمي بها على السـرير وكأنه يخلع عنه ثوب يومٍ طويل محمل بالهموم والتعب!

بدأت فعاليات يومه المملة كما تسميها زوجته، يلقي بثقله على أريكتـه المفضلة وهو ممسـكٌ بيـده جهاز التحكـم بالتلفزيـون، فيما الأخرى تعبث بهاتفـه الجوال، يبـدأ بتغيير القنوات بطريقةٍ هيسـتيرية في بحثٍ عن مجهول يشغل عينيه به لحظات جلوسه، لكنه ما يلبث أن يسـتقر به المقام متسـمراً أمام قناته الإخبارية المفضلة، هي نفس الأخبـار التي يسـهل توقعهـا من دون حتـى أن يراهـا، لكنـه وبتقليدٍ عائلي أصيل، ورثه عن والده يتمنى أن يسمع شيئاً مختلفاً هذه المرة.

يلتفت نحـو الزوجـة المنتظرة لسلسـلة طلباتـه وأوامـره التالية، لكنهـا قبـل أن ينبس لهـا، تومـئ له قائلـةً: لحظـات وسـأحضر لك الشـاي.... يشـعر براحة داخليـة لشـعوره أنها تفهـم جدولـه اليومي وتحفظـه عن ظهـر قلب، فهو ليـس بمضطـر أن ينطق مـا يريد حتى تنفذه له.

مضت أكثر من ساعة وهو صامت، يقضي وقته ما بين العبث بهاتفه أو البحث عن برنامجٍ تلفزيوني يشاهده. ينادي ابنته الكبرى بصوتٍ مرتفع طالباً أن تحضِر له كأس ماء، فما تلبث هي أن تؤكد له أن نصفه بارد والآخر فاتر.

تشدُّ انتباهه معركة تجري رحاها بين ابنيه، لكنه من دون حتى أن يعرف السبب، يمطرهما بعبارات التأنيب، ويختمها بعقابٍ لهما ألا يغادرا غرفتهما لمدة ساعة.

تناديه زوجته طالبةً العون منه لمساعدتها في وضع بعض أغراض المطبخ في درج علوي، هي غير قادرة على الوصول إليه... يرمقها بنظرة غضب، ويبادرها بردٍ جارح كونها تجرأت وطلبت من سيدها أمراً بإمكانها المحاولة لتدبر أمرها فيه، يصرخ في ابنه البكر طالباً منه مساعدة والدته، ومن دون أن يلتفت إليها، يستمر في جلوسه مع ذاته، والتي يقاطعها هذه المرة نغزات أصغر بناته، وهي تحاول لفت انتباهه لنجمة وعبارة ممتازة وضعتها معلمة الحساب على واجب الأمس؛ يهمهم لها ويصفها «شاطرة»، ومن دون حتى أن يربت على رأسها.

ساعات جلوسه في المنزل والتي تعقب عودته من العمل، بالنسبة لزوجته وأبنائه هي بمثابة الصبر على المكروه، حيث يتوقف المرح، ويمسي الجميع متحفزاً للاستجابة لأوامر المدير العام، والذي يأبى أن يفصل ما بين حياته العملية والخاصة، فيما يمارس طباعه الجافة وأقواله النزقة على أهل بيته، يلقي عليهم الأوامر ولا يتوقع منهم إلا السمع والطاعة.

تصرفات الأب تشعرهم أنهم في مدرسة، ناظرها قد أخذ عهداً على نفسه ألا تعرف الأريحية طريقاً لتعامله!

في نـدوة نظمتها أحد الجمعيـات المدنية التي ينتسـب لها، بهر الحضوربرقتـه وتجاوبـه، واسـتماعه للجميـع، وتقبله لوجهـات النظر الأخرى، لـم تفارق الابتسـامة محيـاه، فيما تمنت النسـاء الحاضرات والممتعظات من أزواجهن أن يتعلم الرجال منه دماثة الخلق!

ازدواج الشـخصية للزوج الأب أحد اكثر ما ستسـمعه من أبناء محبطين من اسـتعباد والدهم لهم، وزوجة تشـعر بالنقمة لأن زوجها يمارس في منزلـه السـلطة الممنوحة له فـي عمله، ومـن دون فصلٍ بينهمـا، أو مراعـاة لحقيقة أن وقـت العمل قـد انتهى لحظـة دخوله المنزل!

على من مثله أن يعلم، أن الأولى عليه أن يخلع عنه رداء يومه الطويل ويتركه خارجاً، قبل أن يفتح باب البيت، كي يسـتقبل أسـرته بما هي أهـلٌ له بعـد غيـاب يومه عنهـم، وألا يمـارس عليهـم دور المدير العام، بل ليكن الأب الحاني والزوج المحب.

الرجل دائماً متذمر!

في جلساتهن واجتماعاتهن ومحادثات الهاتف ورسائل الجوال تذمر نسائي، وشكوى زوجية من زوجٍ لا تكاد تفارق التكشيرة وجهه، فهو دائماً متذمر وحانق وغاضب ومكفر الوجه، لا يحب أن ينطق أو يتكلم أو يشارك زوجته ما يدور في باله أو خاطره، وإنما صامت وسارح ينظر إلى أعلى ولا يرغب بمحادثة أحد.

هو متبرم ويبحث عن حجة ليخلق فيها مشكلة، ويحول سكينة الأجواء لحالة حربٍ لا يبقي فيها ولا يذر، يصرخ دوماً بأطفاله وينتقد زوجته، ويسيء لأهلها وجيرانها وصديقات عمرها.

ينطبق عليه المثل الشعبي القائل «لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب»، ينتقد لبسها ورائحتها وتصرفاتها وطبخها وعنايتها بمنزلها وأطفالها، حتى أنه تمادى وها هو الآن يبحث عن ما يسيء به لأمها «أي حماته» وأبوها.

تشتكي المرأة من أن زوجها يمتهن الصمت حين يدخل منزله وتهرب كل ما في جعبته من كلمات، حتى أنه يبدو كالأصم الذي يوجه حديثه لها بالإيمآت، أو بالإيحاءات المختصرة التي لا تتعدى كلمتي لا ونعم.

تتبرم من تصرفاته هذه وتشعر أنه بدأ يضيق ذرعاً بها، أو خبا شعوره نحوها، فهذا لم يكن حاله في أثناء خطبته لها أو في شهر العسل أو حتى في سنة أولى زواج، حين كان لا يطيق فراقها، ويمني نفسه بلمسةٍ حانيةٍ منها، كلمات غزلٍ تجعل منه «طرزان» المحقق

لكل رغباتهـا، لكنه الآن اختلف، هو إنسـانٌ آخر، تشـعر حتى أنه لا يرغب بالإمساك بيدها وتقبيل راحة كفها كما كان يفعل سابقاً.

لقـد تغيـر كثيـراً منـذ أن أنجبـت لـه، وبـدا لـه المنـزل أشـبه باسـتراحته اليوميـة، فقـط يدخلـه كي يـأكل وينـام، يمسـك بريموت تلفازه ويقضي أغلب وقته يقلب بين قنواتـه، فيما لا يترك أبدا هاتفه النقال، الذي أصبح بالنسبة لها «ضرتها» الجديدة التي لا يرغب أبداً بفراقها.

كلمـا تحدثـت إليـه يصدها ويشـعرها أنـه مشـغول الفكـر بأمرٍ جلل، فيما هو إما لاهٍ بمشـاهدة مباراة كرة أو يمارس لعبته المفضلة بهاتفه الذكي، إن انتقدت تصرفه، تجهم وجهه وصرخ بها طالباً منها أن تتركه وشـأنه، وهو ما تفعل، لكنها وبغريزتها الأنثوية، وبشـعورها بـأن كرامتها قد أهـدرت تأبى أن تتركه وشـأنه، بـدأت الآن تغضب، ومعه تصرفت بأنثوية وبدون تفكير.

تحدثـت إليـه هـذه المـرة بنواقص فـي المنـزل ينبغـي عليه أن يحضرهـا لهـا... يعدهـا بذلـك في يـومٍ آخـر فهـو لا يرغـب اليوم بالخـروج مـن المنـزل. تصـر علـى طلبِهـا وكأن المجاعـة واقعة لا محالة في اليوم التالي! بلا مبالاته المعهودة معهـا يومئ بحركة منه أن جوابه كما أفـاد سـابقاً....تتركه وهـي تحدث نفسـها بكلماتٍ لا يفهمها، لكنه يعلم أنها بداية تقاذف الحمم.

تقطـع عليه سـكون لحظتـه مـرةً أخـرى.... ولكـن هـذه المرة لتطلب أن يعاقب أبناءه أو أحدهم لأنهـا طلبت إليه أمراً لكنه خالف أمرها وتصرف معها بغير تهذب....تبدأ تهذي الآن وتنطلق الكلمات من فمها كالحجـارة.... لكنـه حتى اللحظة لـم يغير من جلسـته.... ينادي على ابنه ويسأله بلا مبالاة عن سبب إغضابه لوالدته؟.. يحلف

الابن ويبكي أنه مظلوم، يتعاطف معه.... فتغضب زوجته!

بدأت المعركـة الآن واتضحـت أسـباب غضبها الـذي لم يكن الإبن فيه إلا مطية تشعل بها عود الكبريت الذي يكاد يكون قنبلة من شدة تضخمه في صدرها.

تتحدث بسرعة وبشكلٍ مسـتمر حتى من دون أن تأخذ نفساً أو اسـتراحة، تلومه على إهماله لها وتبرمه الدائم، وصمته المطبق كلما دخل المنزل «وكأن القطة أكلت لسانه» كما قالت له.

في نظرها ومما سـمعته من صديقاتها نقلاً عـن أزواجهن لهن، هـو اجتماعي ومتحـدث لبـق وصاحب دعابـة وظلٍ خفيـف لا يمل الجلوس معه، يبحث الجميع عـن صداقته، ويعتبـره أحبابه حكيمهم ورجل المشـورة عندهم، رقيق النفس مبتسـماً ومرحاً، يراعي شـعور الآخرين، دمث الخلـق حلو المعشـر، يتمنى أصدقـاؤه أن لا يفقدوا أبداً صداقته، فهو نعم الأخ والرفيق....

تتذكر ما قيل لها فتشـعر بتلوٍّ في أمعائها يـكاد يفقدها صوابها، تشـعر أنه يخونها، بل يكرهها أو ينوي أن يتـزوج عليها ويحضر لها شـريكة ستقاسـمها النصف الأجمل فـي زوجها....بـدأت تخرج عن وعيها وتطلب منه الطـلاق والانفصال، لـم تعد الآن قـادرة على أن تحتمل أكثر، فالحياة معه جحيمٌ لا يُطاق.

تردد على مسامعه ما دأبت على قوله له في كل شجاربأنها منذ ارتباطها به لم تر يوماً أملح، وإنما شقاء وهم ومعاناة...!

ينظر لها نظرته الحانية التي طالما نجحت في امتصاص غضبها، لقد تركها تفرغ ما في جعبتها من غضب...

يقول لهـا: حبيبتي وشـريكة حياتي.... لقد أسـأت فهمـي، فأنا اليوم حزينٌ لأنه بالرغم مـن مصادفته لعيد زواجنـا إلا أني غير قادرٍ

على أن أجد ما يناسبك ويفي قدرك من هدية تستحقينها لأنك قبلت بي زوجـاً، لكن راتبي لم يـودع في البنك بعد....ضـاق صدري ولم أعرف ماذا أهديك في ذكرى اليوم الذي جمعنـا.... ولم أجد أمامي إلا وردة قطفتها مـن حديقة الجيران قبل أن أدخـل أهديها لك لتعبر عن حبي وعشـقي وهـواي بملهمتي ورفيقـة دربي التي هـي زوجتي وحياتي!

تنفرج أساريرها، تشعر بالخجل وبدون تردد ترتمي في أحضانه وتعانقـه معتذرةً عمـا بدر منهـا من قـولٍ أو فعـل.... فهـي لم تكن بوعيها كما تصف نفسـها، بل كانت الجانب الغيور في الأنثى، الذي يأبى أن يستبدل وده بالدنيا وما فيها.

ما الذي تريده المرأة

يقولون التزام واحترام ومحبة ووئام وسعادة ومشورة ورومانسية ومشـاركة واسـتقرار، و..و..و...و. ولكن، هل هذا حقاً ما تسعى له الأنثى فـي رحلـة حياتها البشـرية علـى كوكبنـا الأرضي الـذي يعج بالمليارات من الذكور الذين يسـعون لأن يكون أحدهـم رفيق دربها وشريكها الذي تقضي معه حياة ما بعد العزوبية!

أم أن مـا تريده المرأة أن تكـون هي القائدة بـدل التابع بعد أن ارتضـى لها الجنس الذكـري ذلك وحـاول أن يجعل منهـا مكملةً له لا شريكاً!

لكـم أن تتخيلـوا معـي أن المعادلة أصبحـت معكوسـة، ولمرةٍ واحدة أعطينا معشـر الرجال المرأة فرصةً لتجرب نفسها مكاننا ومن ثم تختار كيف يكون حالها مستقبلاً.

اسـتيقظت صباحـاً ومبكـراً عقـب طلب زوجهـا منهـا أن تأخذ الأبناء للمدرسـة، ارتدت ملابسـها كـي لا تعـود للمنزل مجـدداً بل تتوجـه للعمـل مباشـرةً، ولكنهـا السـابعة صباحـاً، ودوامهـا يبدء في الثامنة، جلسـت تنتظر وهي شـبه مسـتيقظة فـي سـيارتها وقت قدوم الحـارس لكي يفتح أبـواب المكتب، تشـعر بالرغبة للعودة لسـريرها مجدداً لكنها تعلم أنها محتاجةٌ للوظيفة لتسيير أمور المنزل والصرف على الأبناء وتوفير ضرورات الحياة لهم، كما أنها يجب أن لا تنسى متطلبات زوجها ولباسه وعطوراته وكمالياته.

تفيق من بحـر الالتزامـات اللامتناهية على تلويـح بوابة العمارة

لها بأن البـاب مفتـوحٌ الآن، تجلس على مكتبها ترشـف من الشـاي الذي صنعته لها موظفة أخرى تسـمى «عاملة الشـاي»، ترمق مكتبها بنظرة غيظٍ من كم الأوراق وطلبات مديرتها التي لا تنتهي.

يـرن جـرس الهاتـف، الآن بـدأت يومهـا باتصـالٍ غاضـب من عميلة ناقمة لانقطاع الخدمة عنها، تحاول أن تمتص غضبها من دون أن يجدي ذلك نفعاً، تغلق الهاتف علـى وعدٍ قطعته بأن تذهب الآن للموقع حيث العطب.

تركب سـيارتها وهـي تعلم أن المسـافة مـع زحمـة المدينة لن تقل عـن السـاعة، ومكيف السـيارة ليـس بحالتـه الأصلية، فقـد بدأ يضعف تبريده، تشعر بلهيب الحرارة يضرب وجنتيها، ويحمر خداها كلما فتحـت النافذة لتدخـل بعض الهـواء، لكنه أشـبه بالزفير، بدأت الآن تقطر عرقا، ملابسـها مبتلة وقميصها يلتصق بجسـدها من شـدة رطوبته... أخيراً وصلت إلـى الموقع وحملت معهـا صندوق أدوات العمل، يبـدو لها ثقيلاً، لكنهـا مضطرة لحمله لتلك المسـافة الطويلة التي تـوازي نصـف الكيلـو لأن إدارة الموقـع تمنع دخول سـيارات موظفي الشركات الزائرة.

تبـدو منهكـةً جدا حتـى وقبـل أن تنظر إلـى العطب، تسـاورها مشـاعر ضيق وحنق مما مرت به، لكن امتعاظها ما لبث إن اتقد بعد أن تلقت توبيخاً شـديداً من مديرة الموقع لإهمال شـركتها وتأخرها؛ ترمقها بنظرة غضبٍ وتحاول أن تشـرح لها... لكن الأخرى تقاطعها بحركةٍ من يدها لتتركها وقد رمت على وجهها رصاصة الرحمة قائلةً لها: العميل دوماً على حق!

أنهـت الآن المهمـة واعتـذرت على خطأ لـم تقترفـه، توجهت مجدداً إلى حيث قد ركنـت مركبتها، وإذا بالمشـرفة عنها في العمل

تتصل بها وتتطلب منهـا أن تترك ما في يدها لتـزور عميلاً آخر وبّخ المشرفة هذه المرة......

أخيراً عادت إلى المنزل، تسـتغرب أن الأنوار مـا زالت مطفأة، تفتح بـاب غرفة نومهـا ليهـب عليها نسـيمٌ عليـل وسـكونٌ جلل لا يبعثره إلا أصوات الشـخير من الزوج، الذي «راحت عليه نومه» ولم يسـتيقظ ليعد لها غداءً يسـكت صرير أمعائها، تضـيء الغرفة وترمق الزوج المسـتغرق فـي نومه وتصـرخ به مسـتهجنةً نومه حتـى مغيب الشمس.

يسـتيقظ الـزوج مـن نومه وهـو لا يـكاد يفتـح عينيه مـن فرط خموله، يحـرك ذراعيه صوب رأسـه فيما ينظـر إلى السـاعة، وبدون أن يعتذر لها يبادرها القول كما اعتاد فـي كل يوم: إنهم أبناؤك، لقد كنت مسـتيقظاً طيلـة الوقت مـن أجلهم حتى سـاعة صحوهـم! ماذا تنتظرين منـي أن أصحـو وأنام بنـاءً على نمـط حياتك! هذه ليسـت حياة، ولن أقبل أن أسـاوم عليها، فكل من أعرف من معشر الأزواج ينامون نهاراً ويستيقظون ليلاً!

يزداد غضبهـا مـن بجاحته وعـدم اعترافـه بخطئه، تتسـاءل عن طعام الغداء، تعلـم أن زوجها النائم لـم يُعده بعد، فيمـا هو يطمئنها ويعدها أن نصف ساعة كافية لإنجازه.

تغير ملابسـها المليئة بمشـقة يـومٍ طويـل، تتمدد على سـريرها ممنيـةً نفسـها بوجبة فاخـرة قد تكـون الطريق الـى سـعادتها؛ يناديها الـزوج وقد سـبقها إلـى طاولـة السـفرة، تجلس بجانبـه، تسـأله أين الطعام، يشير لها نحو طبق بيضٍ وصحن تونا معلبة وبعض الجبن..

في هذه اللحظة بالـذات تكاد تفقد ما تبقى مـن صواب عقلها، لكنها ومضطـرة على مضـض، تتناول لقيمـاتٍ لا تكاد تسـد جوعها

شاكرةً زوجها على المأدبة الشهية!

قبـل السـابعة بقليـل، تهتـز جـدران المنـزل علـى وقع صـراخٍ ونويـح، يسـتيقظ الـزوج من نومـه هلعـاً، إنها زوجتـه التـي يبدو أنَّ كابوساً أفسد عليها متعة نومها، يسـمي عليها ويطلب إليها أن تشرب قليلاً من الماء، تبـدو الآن تعي أن ما عاشـته قبل قليـل لا يعدو أن يكون حلمـاً بغيضاً نغص عليها حـلاوة نومها، تعود مجـدداً تحتضن مخدتها مبتسـمةً، فيما الـزوج المذعـور يتمايل أمام المغسـلة ينفض وجهه بالمـاء ومـن ثم يرتـدي ملابسـه ليتوجـه لعملـه، لكنـه يتذكر إفطاره فجأه، فيهرع مسرعاً للمطبخ لإعداده بدقائق كي لا يتأخر على عمله، فهو يعلم أنه استنفذ في شهره الجاري ثلاث مراتٍ يسمح لها فيها بالتأخرعن الحضور خمس عشرة دقيقة!

احترام الخصوصية

من السـائد جداً أن يظن العديد بأن الزواج هـو تمازج روحين مع جسدين يحطمان بارتباطهما أسرار نفسيهما ويكسران به الحواجز واسـتقلال الشـخصية، ويتشـاركان من خلاله مكنونات نفسـيهما من دون أن يخفي أحدهم عن الآخر شيئاً من شخصيته وفكره وتطلعاته.

عدا عـن ارتباطـه بالاختـلاف والانفصـال والمشـاكل المتكررة بيـن الأزواج، حيث يظن كونهمـا متزوجين هو أن ينصهـرا ببعضهما ليتشاركا الأحزان والأفراح؛ فيما لا بأس به، بل هو المفروض بعينه، لكن ما أعنيـه هو أحقيـة كلا الشـريكين بـأن يحتفظ بداخلـه بما لا يرغب بإطلاع أحـد عليه، من دون أن يشـكك في ولائـه وإخلاصه، وبدون أن يسبب مشاكل له مع شريكه.

احتـرام الخصوصيـة بيـن الزوجيـن أحـد أمتـن الدعامـات لاستمرارية الحياة بينهما، كما أنها السبيل للتفاهم والعيش المشترك.

الاقتناع بـأن الطرف الآخر له الحـق أن يعيش في نفسـه ويحيا ما لا يرغب بكشـفه من حقه، كما أن بعض ما يـدور في خلده جزء من شـخصيته، له أن يخبئها عميقاً في نفسـه، وأن لا يكشفها لأحد، وليـس في ذلـك أي نكـران للحقـوق أو تحييـد، بل هو مـن صميم الحق الإنساني الذي بالرغم من وضوحه وشـفافيته يحب أن يحتفظ لنفسه بخصوصية تبقى مدفونة بداخله ولا يخبر أحداً عنها، وحتى لو كان ذلك للزوج أو الزوجة.

ثقافة احتـرام الخصوصيـة بيـن الأزواج ليسـت دائمـاً حاضرة،

بل غائبه وبسـببها يسـيء أي منهما فهم الآخر، كما يغضب إن شعر بإخفاء الآخر سـراً عنـه، وذلك ظناً منـه أن من حقـه أن يعرفه، فيما شريكه يرغب بإبقائه لنفسه.

علينا أن نمنح أنفسنا والآخرين فسـحةً من الفضول، وأن نعمل علـى تربيتهـا لتتقبـل أن لا تعلـم وتغـض النظر فـي ما هو مـن غير شأنها.

الحماة والزوجة

الحماة أو أهل الزوج في العديد من المناسبات هم أحد أسرار امتعـاظ الزوجـة، وإن لـم يكـن بالشـكل الـذي يصـوره بعضهم في أحاديثهم بمبالغة إلا أنه واقع لا بد من الإقرار به.

فزوجـة الابن هـي ذلـك الكائـن الغريب الـذي اقتحـم حياتهم فجأة واستولى على كنزٍ ثمين أمضوا العمر في تربيته وتنشئته وتعليمه وإصلاحـه، فيمـا هـي وعلـى الجاهـز تأتـي لتقطـف ثمـاراً حصدها وزرعها واعتنى بها آخرون وهم ذووه.

بمجرد أن تفكر الحماة بهذ الشأن حتى تشعر ولا إرادياٍ بموجة امتعاضٍ عارم تعتريها، وشـعور بالحنق على تلك الأنثى التي سلبتها ابنها، وأسـبغت عليه حناناً وحباً مزعوماً كما ترى، جعله يبتعد عنها، ويتخذ منها حافظةً لأسراراه ونجواه، ورفيقة دربٍ لمشوار حياته.

الزوجة في نظـر بعض الأمهـات كالحاكم المتجبـر الذي يمنح مواطنيـه أراضـي خصبـة لاسـتصلاحها، لكنـه وعندمـا يحيـن موعد الحصاد يغتصبها منهم تاركاً لهم العدم والحسـرة على ما أفنوا العمر بالاعتناء به.

لكن... هل هذه هي الصورة التي تمثل الواقع..؟ بالطبع لا، إلا إن كان ما قلت هو نص لحوار سـينمائي لأحد الأفـلام العربية التي اعتدنا على مشاهدتها.

لنكـن واقعييـن، فالحيـاة ليسـت بالنرجسـية التـي نتمناهـا، والعلاقات الإنسـانية والمصاهرة ليسـت باسـتثناء، وإن كانت بدايتها

عند بعضهم أشبه بالمسرحية التي يمثل كلٌ فيها على الآخر ويدعي الطيبة والكمال والصلاح، حتى لكأنك تعيش اليوتوبيا في كل قصة زواجٍ تسمع عنها!

للأمانة الصورة أعلاه جزء من الإطار ولا تشمله بالكامل، لكنها موجودة في مجتمعاتنا التي أصبحت بعض عائلاتها ميكافيلية، الغاية تبررالوسيلة، وهي لكلا الطرفين تمثل فرصة لتأهيل إبنهم وابنتهم اجتماعياً، وليحدث ما يحدث عقب الزواج فلكل حادثٍ حديث!

عدم الوضوع في الظهور أمام الآخرين بطبيعية هو أحد الأسباب الحقيقية التي تعاني منها مجتمعاتنا وتسبب الخلافات العائلية التي يتضح فيها الوجه الحقيقي من دون تمثيل أو مواربة، والأمثلة لا حصر لها، والجميع قد عاشها أو سمع بها، وشاهد بعينيه كيف تحولت علاقة مصاهرة ظاهرها كان الكمال إلى حربٍ شعواء لم يترك فيها أحد الخصوم وسيلةً لقهر الآخر إلا واستعملها.

واقع الحال السابق يطرح سؤالاً لا إجابة عليه حتى اللحظة، وعلى الأقل في مخيلتي يقول: لم تمتهن العائلات الكذب لتحقيق هدفٍ سامٍ؟ في حين لو تصرفت على طبيعتها فيه لوجدت في يومٍ ما خيارها المناسب! ولم لا نؤمن بالنصيب وبأن قدرنا سيأتينا إنْ ارتضينا الخيرة من الله عز وجل؟

الحماة والصورة التي ألحقت بها عبر ثقافة توجيهنا الجديدة وهي الإعلام بمسلسلاته وأفلامه قد أسبغت على الواقع هالة من الكذب والخرافات والمبالغات السلبية، التي للأسف ساهمت عكسياً لتكون القناعة الذاتية للفتاة التي باتت ترى في أم زوجها من دون أن تراها أو تتعامل معها أكبر خطرٍ يهدد وجودها واستقلالها،

والمنغص لسعادةٍ زوجية رسمتها في مخيلتها لنفسها وتراها تحياها.

أفـي الاختـلاف البشـري تكمـن المشـكلة أم بسـبب الأنانيـة والتفكيـر بالنفـس مـن دون إقناعهـا أن كلاً منـا يقـوم بواجبـه فـي استمرارية الحياة؟

مشـكلتنا أننا نحيـا الحيـاة لأنفسـنا ونظـن أن القوانين البشـرية وضعت لتتـواءم مع تطلعاتنـا، لا رغبـة لدينا في التضحيـة، وإن كان فهي بمقابل، كما يجب أن نسـتمتع بالجائزة، ونحصد كل ما زرعناه مـن دون أن نترك للآخرين رشـفة ماء تعيـد ترطيب حياتهم وترسـم البسمة على محياهم.

سـواءً كانت الزوجة أو الحمـاة، كلتاهما لهما حقـوق وعليهما واجبـات يجـب أن يحترمهـا ويتنـازل عنها للآخـر، فيما يبقـى اللوم في الأغلب يقع على تلـك الصبية التـي ترغب بحياةٍ مسـتقلة بأنانية مـن دون أن تحترم سـنين طويلـه ومجهـوداً لا يُعد بذلتـه أم زوجها في تربية ابنها وتنشـئته والإعتناء به حتى أصبح رجلاً على أبواب أن يكون فيه ربُ العائلة بدلا من سابق عهدٍ له حيث كان ابناً مدللاً.

شعور الإنسـان بالفرح والحزن أمرٌ نسبي لا يمكن وصفه بحالة مادية أو جسدية أو اجتماعية فقط. جميعها مكملات وأسس قد تبنى عليها السعادة لكنها لا يمكن أن تمنع الشقاء أو حتى تُخفف منه.

كذلك الحال بالنسـبة لـلأزواج، فمخطئ من يظـن أن العازب قـد انتهت حيـاة تعبه بعـد أن تـزوج، فقد تكون هـذه الخطـوة بداية مسلسلٍ حزين أو سـعيد بناءً على اختياره وظروف الطرف الآخر في العلاقة ومدى التواءم والتوافق الذي سـيجمعهما، وحجم التضحيات التـي يجـب أن يقدمهـا كلٌ منهمـا فـي سـبيل أن تبقـى المركـب مبحرة.

هناك فرق ما بين الشـعور الحسـي داخل الفرد وما بين ظروفه المحيطة التي تحسـن من نمط حياته أو تتعسـها، لكن ما نختلف به كبشـر عن بقيـة المخلوقات هو أننا في سـعي دائم لإسـعاد أنفسـنا بطرقٍ قـد يكـون لهـا مفعول عكسـي علـى مجريـات عمرنـا، فبدلاً من أن تحقـق لنـا الراحـة النفسـية والسـكون العاطفي، نجد أنفسـنا فـي دوامة البحـث عـن المجهول، نتعـرض فيهـا للطمات المشـاكل والمصاعب والأحداث.

الرجـل فـي الغالـب يجـد سـعادته فـي المـدركات الملموسـة والحسـية، التي يعمل لتحقيقها أو يبحث عنها ليعيشها، فلا تستغربوا إن رأيتم أن سـعادة شاب ومدى انشـراح سـريرته يمكن رؤيتها عليه وهو يقود سـيارةً رياضية لطالما حلم باقتنائها، أو مشاهدة مباراة كرة

قـدم يتفـوق باللعب بهـا فريقـه المفضـل، أو الحصول علـى أحدث تقنيات الهاتف الجوال أو الكمبيوتر.

فيمـا النسـاء أقـرب إلـى المشـاعروالوجدانيات (وبالطبع لَسْـنَ جميعـاً سـواء)، لكـن عاطفـة المـرأة ذات خيال واسـع وأفـق ضيق (أحياناً لـدى بعضهن) ترى الحيـاة بصفة الكمال، وتظـن فيها المرأة أنهـا السـكة التي يجـب أن تشـكل نمـط معيشـتها بغـض النظر عن الظروف ومشاكل البيئة المحيطة والأهل والعمل.

قاعـدة مشـتركة تتميـز بهـا أغلـب النسـاء وهـي حبهـن للورد، والذي قد لا يعني لأغلب الرجال إلا وسـيلةً لتضييع نقوده في نباتٍ يُشـرى ليُهدى ومن ثم يذبل! فيما تراه المرأة أسمى روحانية تجذب الوجدان وتحرك المشاعروتجيشها.

هـو بالنسـبة لهـا لغـة العشـاق والمحبيـن والأصدقـاء، فشـكل بوكيه الـورد وانتقـاء ألوانه يعكس الموقـف والظرف، وعبـق الرائحة هـي دغدغـة للأحاسـيس ومناجـاةٌ لهـا، للتأمل فيـه واحتضانـه ومن ثم الاعتناء به طقوسٌ تسـعد قلبها وتشـعرها بفرح الحيـاة وحلاوتها وتقدير الشـريك في العلاقة لما تمر بـه، ومدى اهتمامـه بها وتفهمه لمعاناتها، أو مشاركته للحظة سعادتها أو حزنها أو فرحها.

إختلاف «هو» عن «هي» في مفهوم السـعادة والشـقاء جزءٌ من بقائهما معاً وتفاهمهما للعيش سويةً، حتى لو يعني ذلك أن يحيا كلٌّ منهما في عالم أحلامٍ وخيالٍ منفصلٍ فيه عن الآخر.

لا معنـى لأن يتشـارك الرجل والمـرأة السـمات المشـتركة في الحياة، بـل أن تضادهما في القطبية هـو عماد تمازجهما وتعايشـهما وتعاونهما للعيش سوية، بالرغم من أن كلاً منهما إن تأملت ما يحب ويكره، ما يرغب به وينبذ، تجده في الكثير نقيضـاً لا يُمكن احتماله

أو العيش في كنفه، لكنه أساس بقائهم سوية وجذرٌ راسخٌ لديمومة العلاقة بينهما.

ليس الاختلاف هو المقياس وإنما مدى برمجتنا لأنفسنا لنتقبل فيها الآخر بحلوه ومره، بطباعه وعاداته، باستقراره وتقلباته.

إنه طفلهما الأول!

أثمر زواجهما في أول شهرين منه عن حمل الزوجة، وارتاحت أم كلا العروسين من السؤال المحرج كل شهر واستفسارهما هل الزوجة حامل!

استقبلا الخبر بعكس ما خططا له في أثناء الخطوبة بأن تكون سنتهما الأولى شهر عسلٍ متواصل لا ينقطع، وإنجابهما حسب تخطيطهما يكون فيما تلاه.

بعكسهما عمّت الفرحة قلبي عائلتيهما، وانتشت الأجواء بقدوم أول الأحفاد لبكريهما، فيما بدأ التودد المصطنع يطغى على الحديث المتكرر في كل مرة يعلنا فيه الخبر لشخصٍ جديد، ويتبادلان ابتسامات المجاملة والدعاء بأن يتم الأمر على خير.

أمسك بيدها وفتح باب السيارة لها عند خروجهما من المستشفى. قبل نصف ساعة فقط، بشرتهما الطبيبة أن أعراض المغص والألم الذي تعاني منه الزوجة، كما انقطاع الطمث عنها سببه أنها حامل، تضايقا من الخبر وشعرا أن جميع أحلام السعادة التي رسماها لسنتهما الأولى قد تلاشت الآن، فيما تذكر كشريطٍ سريع يمر أمام عينيه ذكرياتٍ قريبة، تناهى لمسامعه فيها حجم المعاناة التي عاشتها أخته في حملها الأخير، ومدى الضغط الذي كاد يجهز على زوجها، والذي لم يسكن مع زوجته وقتها إلا أسابيع قليلة، فيما أغلبية شهورها قضتها في منزل أهلها، وقضاها هو قاطعاً مسافات طويلة ومتعبة لزيارتها، هذا عدا عن إصابته بجرثومة المعدة

نتيجة الأكل غير الصحي الذي كان يتناوله طيلة تلك الفترة.

لم ينتبه إلا وهي تنظر إليه باستغراب وتحدق في وجهه، مستهجنةً عدم انطلاق سيارتهم وتسمره في مكانه من دون أن يشغل المكيف، فالأجواء صيفية حارة ورطبة، وشعور الحر مع الضيق الذي تعيشه الآن لا يطاق، كما أنها ما زالت تحت وطأة الصدمة.

ينطلق بها من دون أن يعطي تلميحاً عما كان يفكر به. وفيما هما في طريق العودة للمنزل تداعبه عبر مطالبته لها بأن يحضر لها شطيرة فلافل!

أول الغيث قطرة.... قالها في نفسه بعد سماع طلبها، فها هو «الوحم» كما يُسمى قد بدأ ولا يعرف ماذا ستشتهي نفسها فيما بعد!

مرت ثلاثة الأشهر الأولى من حملها كدهر، عانى فيها من ابتعادها، فأنفاسه تشعرها بضيق ورائحة جسده التي كانت تستمتع بها كريهة ولا تتحملها، كما أنها لم تدخل مطبخها منذ الخبر، فهي غير قادرة على لمس الدجاج واللحم، وينتابها غثيان لا ينقطع إن أكلتهما.

أخبره صديق أن فترة المنتصف راحة له ولها، حيث تخف الأعراض، وتقل حدتها. كما أن صديقاتها اللواتي سبقنها بالتجربة بشرنها أنها الآن بإجازة من معاناتها، لكن آماله وأحلامها بالهدوء والسكينة لم تنتهِ إلا بعد أن سمعا أولى صرخات بكاء ولحظة ولادة ولي عهده الذي سماه على اسم والده تيمناً به، فيعلن القادم الجديد لهما نهاية مرحلة وبداية أخرى سيكون لهما فيها معه تعب ومتعة.

صراع الزوجة والأبناء

يعود الزوج للمنزل أملاً بابتسامة ندية ونظرات حانية وكلمات رقيقة تنسيه ما مر به طيلة يومه؛ لكن حظه العاثر قد يكون له بالمرصاد، فلحظة دخوله منزله، تهل الشكاوي والتذمر من شقاوة الأبناء، وتستمر بعدها الزوجة في سرد تفاصيل مملة ورتيبة لا منطق من تكرارها، تتحدث فيها بإسهاب كيف كسروا وخلعوا وأهملوا وأساؤوا، وكيف توعدتهم بأن والدهم سيعاقبهم حال عودته للمنزل.

يُدرك جيداً أن كلمة عقاب والتي ذكرتها زوجته تعني أن يبدر منه موقف حاسم تجاه شكوى زوجته المصيرية والمتكررة طيلة أيام الأسبوع.

يعرف الزوج طبيعة أبنائه، ويعلم تماماً درجة مشاغبتهم، لكنه لا يرغب بأن يستقبل أبناءه بعد غياب نهارٍ طويل عنهم بعقاب.

فيما هو ينظر لهم على أمل ان ترحمه زوجته من موال الشكوى اليومي، تتغير نظرة الأبناء تجاه والدهم، فيرمقوه بنظراتٍ تزد من إشفاقه عليهم، يبدون بريئيين جداً الآن، فيتخلل الشك لنفسه بأن زوجته وكبقية النساء تبالغ في ردة الفعل تجاه أبنائه، يحاول أن يجد لنفسه وذريته مخرجاً مناسباً لإطفاء بركان الزوجة القابل للانفجار في أية لحظة، ومحاولاً تفادي حممها، لكنها يجد نفسه مضطراً في النهاية أن يؤنبهم لإغضابهم أمهم، وهو كله أملٌ أن لا يناقشوه في خلال عتابه حتى لا يترك للزوجة فرصة أن تتصيد أخطاءهم!

إن كان محظوظاً تسير خطته لإنهاء المشكلة بين الأم والأبناء بهدوء وباعتذارٍ طفولي للأم مع تقبيلٍ ليدها، ووعدٍ يعلم جميع الأطراف أنه سيكسر في مساء اليوم نفسه أو الغد على أبعد تقدير، لكنه السبيل الأمثل لإغلاق الموضوع، والعودة لروتين بقية اليوم الذي على الأغلب ستتخلله أحداثٌ أُخرى ستستهلك البقية من صبره وقدرته على الاحتمال.

هي سنة من السنن الزوجية وقاعدة لا تختلف من منزلٍ لآخر، وحتى في القبائل التي ما زالت بدائية، ليست باستثناءٍ لأحد من دون غيره وإنما تجربة تعيشها البيوت جميعاً بلا استثناء، تسمع نفس القصة في كل جلسة سمرٍ مع أصدقائك، فيما شكاوي الأمهات إحدى افتتاحيات جلساتهم المتكررة، حين تعبر كلٌ منهن للأخريات عن مدى امتعاضها ونفاذ صبرها من شقاوة أبنائها، الذي لا يجد في المقابل حزم أبيهم، وإنما استهتاره في معالجة الموقف وتربية أبنائه بطريقة إن ابتدأها - ستكون أمهم أول من يعارضه لاستخدامه لها.

في شكوى الزوجه لزوجها عن تصرفات الأبناء سببٌ آخر قد يهمله بعضهم، وفيه تتمنى أن يشعر من تشتكي له حجم المعاناة التي تتحملها في الجلوس أغلب الوقت مع الأطفال، قد لا تحتاج لحلول أو نصائح وإنما لكلماتٍ حانية من زوجها تشعرها بمدى تضيحتها العظيمة وصبرها.

الرجل بكونه، دوماً، عملياً ويقضي أغلب يومه في معركة الحياة الشاقة، يكره أن تكون محطة يومه الأخيرة في منزله عبارة عن دروسٍ في التربية وعقاب وصراخ وسماع أعذار وبكاء وتبرير، كما أنه يتمنى الهدوء ويبحث عنه حتى تحين ساعة نومه، ويكره أن يبدد سكونه شكوى زوجة يعتقد في قرارة نفسه أنها لا تشعر بعذاب

يومه الطويل، وتعبه ومدى المشـقة والمعاناة التي واجهها في تعامله مع الناس والضغـوط التي اضطر لتحملها فـي عمله كي يبقى مصدر دخله ضمانةً له لتوفير حاجات أسرته.

مع علمنـا بالواقع وبنجاعـة الحلـول إن طُبقـت، إلا أن خلقتنا البشرية تجعل منا مهملين لها، ومتناسـين لمدى نجاحها، فنحن بشر يجمعنا الاختـلاف ويوحدنا كالتوافق، فيما تلعب المشـاكل الأسـرية دوراً مهماً في كسـر الرتابـة والروتين، وتسـاهم في إدارة اسـتمرارية عجلة الحياة حتى لو اختلفنا فيها وامتعضنا.

فيما جرت لـه العادة فـي مجتمعاتنـا العربية وحتـى العديد من المجتمعات الإسـلامية أن تعلو «الزغاريت» لقدوم الولد، وأن تكفهر الوجوه لخبر ولادة البنت.

إن أردت وصفهـا بالنسـبة لمتلقـي الخبر، هـي بمثابـة الصدمة أو الفرحـة، وحتـى قبل أن يسـأل عن حـال زوجته تصر نفسـه على أن تعرف جنـس مولودها؛ لو كان صبياً سـتكتمل سـعادته وسـيمطر الزوجـة بـأرق عبـارات الحـب واللهفة عليهـا، كمـا سيسـارع لرؤية خليفته أو أحدهم، وسـيحصنه ويؤذن في أذنه، كما أنه سـيكافئ من بلغته الخبر السعيد، وسـيوزع حلوى لكل من يتواجد حوله، ففرحته عارمـة لا يمكـن وصفها، فقـد أنجبـت زوجته ولداً سـيحمل اسـمه وسيكون سنداً له في شيخوخته، وعزوةً له في حياته!

بمزيـجٍ مـن الحسـرة والألـم يقـول لـه أصدقـاؤه «الله يعـوض عليك» فيشـعر بالخجـل الذي يداريـه بجملـةٍ اعتدنا علـى قولها من دون أن نؤمن بها «كلهم واحد ولا فرق بين البنت والولد»، لكنه في قرارة نفسه ممتعض، فلقد اسـتنفذت الأشهر التسعة من حمل زوجته صبره واشـتياقه ورغبته وآماله بأن يكون أب الذكـور لا الإناث، فهمُّ البنات للممات، ولا سـبيل للفـرار من عارٍ في مخيلته قـد يجلبنه له حتى ولم يكن كذلك!

«ثقافةٌ تقطـر عنصرية وبدائية» اسـمحوا لي بوصفهـا، ففي حين ندعـي أننـا مـن كرمنـا المـرأة، إلا أن حالنـا عكـس ذلـك، وعاداتنا

وأعرافنا الجاهلية هي من أطرت مفهوم أن الولد «سند» والبنت «هم»، هي من جعلت منا أتباعاً للثقافة الذكورية، نسعى فيها لأن نعلم الولد أفضل تعليم وأن نساهم معه في بناء مستقبله، في حين كل ما نحنُّ به على البنت لا يعدو أن يكون السماح لها بل تشجيعها لحضور حفلات الزفاف كي تعرض نفسها على الحضور لتجد لنفسها عريساً!

دعونا ننظر للأمر بواقعية، فمثلاً تخيلوا أن فرص البنت مع الولد متساوية في الحياة وفي الدراسة والعمل، حينها هل ستكون البنت عالة على أهلها أم ستصبح مستقلة؟ وهل ستكون سنداً لذويها داعمةً لهم في شيخوختهم أم ستنساهم بمجرد زواجها وإنجابها!

من لم ينجب بنتاً لم يتعلم في نظري كيف يكون أباً، لكن إن تصرف على خلاف واقعنا «الأغبر» ومنحها الدعم والتشجيع، فستبدع ويكون لها شأنٌ آخر تثبت فيه أن ثقافة حجب الأنثى وتغييبها ليست إلا عاراً صنعناه بأنفسنا وصدقناه، وتجنينا به على من هي أسمى من كل خرافاتنا وقمعنا وعادات العصور الوسطى التي هي السمة التي وصمنا أنفسنا بها!

إهمالك لذاتك والتفكير بغيرك فقط «وهم بالطبع» أقرب الناس لك سيجعل منك انساناً معطاءً، وربما توصف بحاتم الطائي، كما أن تفكيرك الذي تناسى حاجاتك الإنسانية، سيفقدك متعة نفسك والتي ستجدها في إسعاد من حولك.

تلك هي صفة المضحين الذين يتطابق وصفهم مع المضحيات، وهم أشخاص لا بد ان نكون قد عرفنا منهم القليل في حياتنا، وإن كانت إشارة الأغلبية حين تسألهم ستكون عن الأب والأم.

بين الأزواج التضحية واجبة لكنها ليست فريضة، وكونها مطلوبة لا يعني أنها أساس التعايش والعلاقة الزوجية، لأنها إن كانت السمة الغالبة لأحد الطرفين من دون الآخر ستكون وقتاً ما ربما عكسية، وستؤدي إلى ملل الطرف المضحي، وشعوره بالغبن ممن يضحي من أجله.

كما أنها قد تربي الأنانية والاتكالية؛ حين يكون أحد الطرفين دائماً المقدم فيما يكون الشريك المتلقي، والذي من دون أن يعي سيعمل بداخله وفق مبدأ «جرت العادة».

الشريك النبيه هو بقدر ما يبدي لك تقديره على تضحيتك... بقدر ما يحثك أن تعتني بنفسك وأن لا تهملها، وأن تمنحها فرصةً للمتعة وتمتعها بما تجود به نفسك على من حولك، كما أنه في الوقت نفسه يبدي استعداده أن يتبادل الأدوار معك بالرغم من قلة ما يمكن أن يقدمه، وذلك في سبيل أن يظهر لك روح المشاركة.

في الأجيال السـابقة، كانت الصورة التي تـروى دائماً تصف لنا وتظهر الأم بالأكثر تضحيـة وخصوصاً في اللحظة التـي تنجب فيها، حينها تبدأ في التخلي تدريجياً عـن متع الحياة كل مرة وربما بمقدار أكبـر عند ازديـاد عـدد أبنائهـا، وخصوصاً فـي الحالات التـي تنتمي للأسرة الفقيرة والبسيطة وأيضاً بعض المتوسطة.

تفرض الظروف المادية حاجزاً قاسـياً حينها أمـام أنوثة الزوجة الأم، فتبدأ بسلسلة التضحية اللامتناهية من دون ان يشعر أحد بها أو يقدر لها تضحيتها بحياتها في مقابل إسعاد عائلتها.

قد تحظى بزوجٍ يدرك حينها أنه قد منح إكسير الحياة الزوجية، كما سـيقدر لهـا تفهمهـا لوضعه ومـدى حرصهـا على إدارة شـؤون المنزل من دون ضغوطاتٍ كبيرة عليه، تطالبـه فيها بتوفير ما لا يقدر عليه، أو تحيـل حياته لسلسـلة مـن الالتزامات التي سـتقصف ظهره يوماً ما من كثرتها.

حظ أخريات لا يسعد ولا ينبيء بأي تقدير، فبالنسبة للزوج، إن تضحيات زوجته هي جانب من راحته الجسـدية والنفسية ويرى فيها زهداً من زوجته التي ما عادت تشـبه النساء كما كانت، تغير مظهرها ولم يعد لباسها أو رائحتها أو حديثها مبهجاً له.

مهما تعددت تسـمية هذه المرحلة من أحاسيس الرجل، إلا أنه يشـعر فيها بالرغبة بتجديد حياته، وبناء علاقة جديـدة تعوض عنه ما هو في اعتقاده زهد زوجته في الدنيا!

كـي لا أظلـم الرجل في مـا قلـت، فبمقـدار ماهـو مخطئ في أنانيتـه وإنـكاره لتضحيات الزوجـة، إلا أنهـا هي الأخـرى يجب الا تنسـى أنها أنثى فـي النهاية، وقـادرة بما توفـر لها أن تظهـر لزوجها وبأبسط الإمكانيات دوماً كالمتجددة.

للعائلة والأبناء حق، لكنها لا بد أن لا تغفل أن لنفسها كأمومتها حقّاً في أن تستمتع بجسدها، وأن لا تذبل مشاعرها بمرور الوقت ولأي سبب، فدورها في الحياة يوجب عليها أن تكون لزوجها المخلصة والمربية والصديقة والعشيقة، حسب الظروف والتوقيت ومن دون أن يطغى أيّ من هذه الصفحات على الأخرى.

خاتمة

ما سبق هو حوارات مع الذات ومحاوله إنسانية لسبر مفاهيم تتعلق بجنسي الرجل والمرأة...، هي ليست بالقراءة الفلسفية ولا العلمية المبنية على البراهين، وإنما نتيجة تجاذب الأفكار وتخاطبها في عقلٍ إنساني أراد أن يدلو بما يعرفه واستوعبه عن أهم جنسي هذا الكون وهم آدم وحواء.

الكاتب في سطور

عماد أحمد العالم

- حاصل على تخصصٍ هندسيٍ في الإلكترونيات من الجامعة الإسلامية للتكنولوجيا.
- حصل على العديد من الدورات العلمية التقنية في هندسة الأجهزة الطبية المتخصصة. وأخيرا تخصص في الأجهزة ذات التقنية بفحص وتشخيص الدماغ والصرع والاعتلالات العضلية والعصبية.

أدبياته:

- له العديد من المقالات المنشورة في الصحف العربية، والتي تتنوع ما بين الشأن العام والاجتماعي والسياسي والوجداني والطبي.

مؤلفاته:

* له كتاب تحت إجراءات الموافقة يتعلق بمرض الصرع والتشنجات، وهو موسوعة من أكثر من ثلاثمائة صفحة تهدف إلى التوعية بمرض الصرع ونشر المعلومات الكافية عنه، ليتسنى للمصاب به وذويه والعامة ومقدم الرعاية الصحية تقديم الخدمة المطلوبة بحرفية وإتقان.

نشاطاته:

مؤسـس موقع مركز ودليل الشـرق الأوسـط الطبي، كما الناشر لأولى الحملات العربية للتوعية بالصرع على شبكة المعلومات

يعمل حالياً:

❋ ككاتب حر

❋ مشرفٍ عام لإحدى المؤسسات السعودية الرائدة والعاملة في توريد وصيانة وتشغيل الأجهزة الطبية.

معلومات الاتصال:

عماد أحمد العالم

الرياض- المملكة العربية السعودية

emad_el@hotmail.com

مدونتي:

http://emadelalem.blogspot.com/

موقع مركز ودليل الشرق الأوسط الطبي:

http://www.biomedresearches.com/

موقع حملة التوعية بالصرع:

http://www.biomedresearches.com/root/pages/researches/epilepsy/epilepsy_awareness_program.html